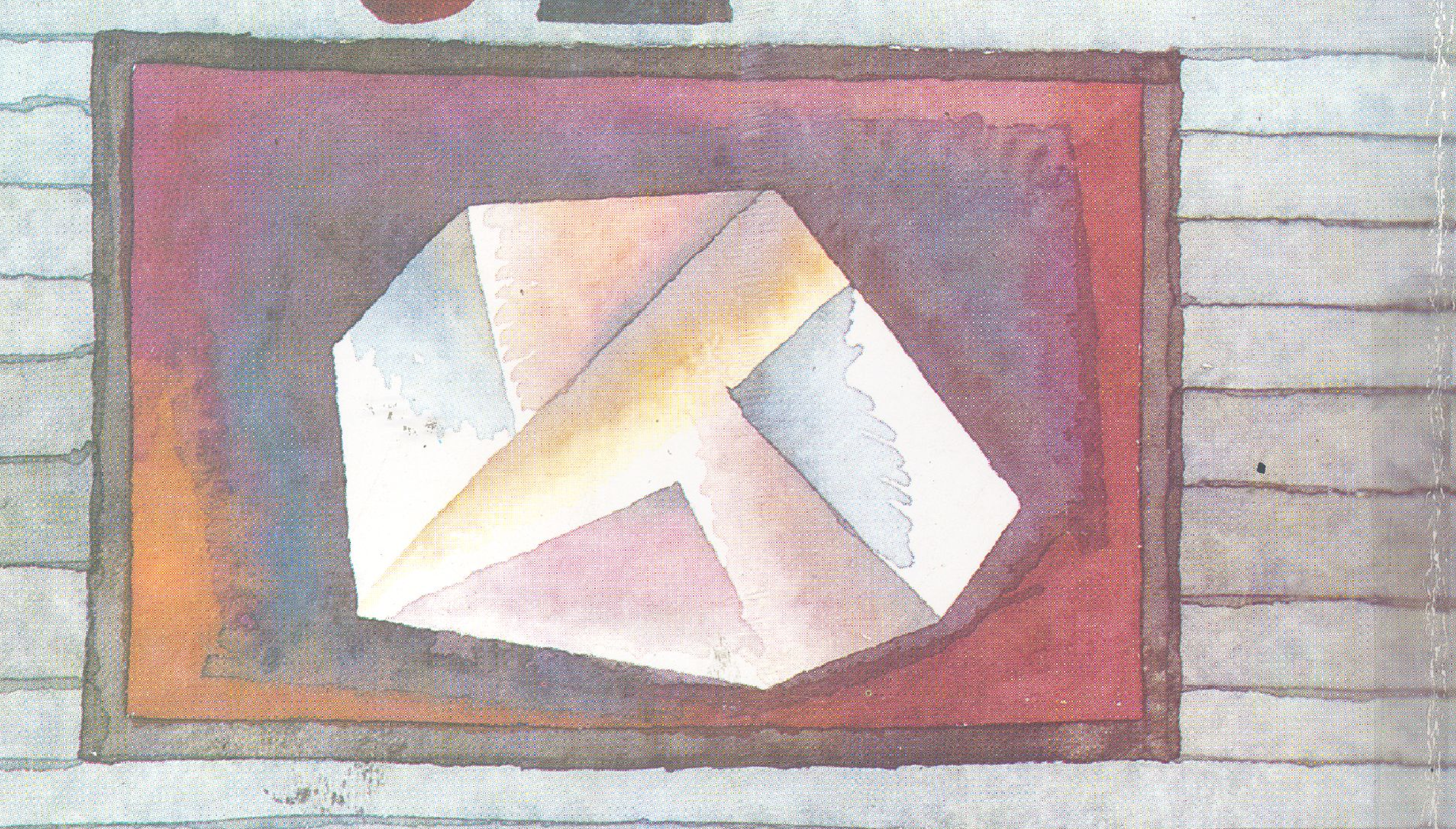


مسرحية / غنوصوغرافيا ..

ليلة السهروردي الأخيرة



فريد أبوسعدة



المجلس الأعلى للثقافة

المجلس الأعلى للثقافة



المشرف العام: **د. أحمد مجاهد**

سكرتير التحرير الفني: **مكرم شحاته**

مسرحية / غنوصوغرافيا

ليلة السهروردى الأخيرة

فريد أبو سعدة

الطبعة الأولى، ٢٠٠٢

المجلس الأعلى للثقافة

١ شارع الجبلاية، دار الأوبرا، القاهرة

الرقم البريدى: ١١٢١١

تليفون: ٧٣٥٢٣٩٦

فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

بريد إلكترونى:

egypt council @ yahoo. com

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/١٧٠١١

التصميم والإخراج للفنان

عدلى رزق الله

المجلس الأعلى للثقافة

إبداعات التفرغ

[٤]

مسرحية

ليلة السهروردي الأخيرة

«غنوصوغرافيا»

فريد أبو سعدة

إلى الصديق
نصر حامد أبو زيد

فريد أبو سعدة

علينا أن نتذكر الماضى
حتى
نستطيع التوقف عن تكراره

س. فرويد

الكتابة بالقلم والكتابة بالدم
من الحلاج إلى السهروردى

د. حسن حنفى

«الليلة الأخيرة للسهروردى» مثل «مأساة الحلاج». موضوعها الكتابة بالقلم والكتابة بالدم فالشاهد هو الذى كتب بالقلم ويصبح شهيداً عندما يكتب بالدم[1]. وتتكرر الصورة خلال المسرحية كلها. ففى حوار الكاتب وشهاب الدين «الكتابة نوعان يا فقهاء، كتابة بالقلم وكتابة بالدم». ويقول أيضاً «هل قدرى أن أعدو بهؤلاء، بالدم الذى تركوه فى الكتب؟». فالشهداء يكتبون بالدم كما يكتب العلماء بالقلم. ويتساءل: «لماذا أقايض دمى بكتبى؟». لماذا أصبح تاريخ النظر تاريخاً من الدم؟». قلم العلماء هو دم الشهداء. وهناك دم آخر، دم القتلة والسفاحين، دم الملوك والأمراء الذين يسفكونه من دم العلماء. إذ يلاحظ الشهاب «لقد رأى الناس سلطاناً يبنى ملكه بالدم، يقتل أو يرشو. أغلق الأزهر، ودمّر المكتبات ودور الحكمة». ويتساءل: «أرشكم بالنور ترشوننى بالدم؟». وبعد الشهادة تصيح النساء «نعم إنه دم، هل تمطر هذه المدينة دماً؟»، «إنه الدم، الدم مرة أخرى».

والمسرحية مهداة إلى نصر حامد أبو زيد. وتسترجع ما حدث له فى الجامعة حتى أصبح طريداً بتهمة الكفر «وهل قدرى أن أظل مطارداً هكذا، ملاحقاً من بلد إلى بلد، ومن زمن إلى زمن؟ التهمة جاهزة دائماً. وهى لا تعرف مثل الخيّة أى رأس ستطبق عليه؟». وتستعير المسرحية عنوان كتاب من كتبه «التفكير فى زمن التكفير» عندما يتساءل الشهاب «لماذا تردفون التفكير

(١) حسن حنفى: الكتابة بالقلم والكتابة بالدم، هموم الفكر والوطن جـ١ التراث والعصر والحداثة، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨ ص ٦٦٣ - ٦٨٠.

بالتكفير؟»، «هل استتابوه ورفض؟».

وتضع المسرحية نفسها فى نوع أدبى جديد «غنصوغرافيا» جمعاً بين العرفان والمعرفة، بين التصوف والفلسفة، بين الذوق والعقل، بين المشاهدة والنظر. «الغنوص» من اللفظ اليونانى Gnosis الذى يعنى المعرفة. فهى مسرحية فلسفية تجمع بين الفلسفة والأدب، يتناولها الفيلسوف من حيث المضمون، قتل السهروردى صاحب «حكمة الإشراق» و«هياكل النور» و«الغربة الغربية». ويتناولها الناقد الأدبى من حيث الشكل الفنى، والقالب المسرحى. وقد يتعرض لها الفيلسوف الناقد أو الناقد الفيلسوف جمعا بين الشكل والمضمون فيما يمكن تسميته «النقد الفلسفى للأدب»، التعامل مع النص الأدبى كنص فلسفى أو دينى أو قانونى أو تاريخى[٢]. وتكشف المسرحية عن فهم دقيق لحكمة الإشراق، جمعاً بين العقل والقلب، وتأسيساً للعرفان على البرهان أو البرهان على العرفان كما هو الحال فى «حكمة الإشراق»[٣]. كما تزخر بالمواقف والآراء الفلسفية الشرقية والغربية من التصوف مثل نقد ابن عربى لعلم الفقهاء الذى يقوم على الرواية «تنقلون علومكم من ميت إلى ميت وننقل علومنا من الحىّ الذى لا يموت». ومن كلام جعد بن درهم الذى استخدم العقل، وعندما تعارض التنزيه مع النص جعل التأويل مقابلاً للتفسير، والتوفيق مقابلاً للتوقيف، والدراية فى مقابل الرواية. ومن الفلسفة وصف مراحلها من التمثيل أو الرفض إلى الشرح والتأليف فى مراحل التحول من النقل إلى الإبداع. ومن الأصول الظاهر والباطن، والمحكم

(٢) انظر محاولاتنا لتأسيس هذا النقد الفلسفى للأدب فى دراساتنا الخمس: «الدين والثورة فى أدب نجيب محفوظ»، «الفلسفة والرواية، دراسة فى توظيف الثقافة الفلسفية فى أدب نجيب محفوظ»، «السقوط والخلاص، قراءة فى رواية أولاد حارتنا لنجب محفوظ»، «الكتابة بالقلم والكتابة بالدم، قراءة فى مسرحية مأساة الحلاج لصلاح عبد الصبور»، «الرسم باللغة والتفكير بالجسد، قراءة فى رواية هوس البحر لراوية راشد»، هموم الفكر والوطن، جـ١ التراث والغرب والحداثة ص ٥٥٧ – ٧٧١.

(٣) انظر دراستنا: «حكمة الإشراق والفينومينولوجيا»، دراسات إسلامية، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٢ ص: ٢٧٣–٣٤٥.

والمتشابه، والعام والخاص. ومن الفلسفة الغربية يظهر الكوجيتو الديكارتى السينوى. فلو قطعت الأطراف من البدن لما تقطع الوعى وظل قائماً. كما يشير الشهاب إلى حكاية لسنج مع أبنائه الثلاثة والذى أعطى كلاً منهم خاتماً ومن ضمنها الخاتم الصحيح ليعطيهم درساً فى التسامح، وأهمية العمل على النظر[٤]. وتظهر عبارة هيدجر الشهيرة «اللغة منزل الوجود» فى «رسالة فى النزعة الإنسانية».

والصلة بين الأدب والتاريخ فى الرواية التاريخية أو شعر الملاحم وضعها أرسطو قديماً فى كتاب الشعر، عندما جعل التاريخ أكثر انضباطاً من الشعر، ويمكن الاعتماد عليه فى معرفة أخبار السابقين. فأرسطو فيلسوف طبيعى يبحث عن الحقيقة على عكس أفلاطون الذى تتطلب الحقيقة لديه نوعاً من الخيال لإدراكها وربما هو موقف القرآن الشهير من الشعر والشعراء فى الآية الشهيرة (والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون). فما جعله أرسطو من حيث المعرفة ومقياس الصدق فيها جعله القرآن من حيث الأخلاق ورذيلة الكذب. فالحقيقة لا يمكن التعبير عنها إلا من خلال الأسطورة، مثل أسطورة الكهف، أو الأعداد الرياضية المجردة. وهو ما أثاره من قبل عبد القاهر الجرجانى فى «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» و«سماه التخييل»، البداية من التاريخ والانتهاء إلى العبرة، البداية بالواقع والانتهاء بالحلم، البداية بالمعنى ثم التطلع إلى المستقبل. فهل المسرحية التاريخية نص تاريخى أم نص مسرحى؟ وهل يمكن الجمع بين الأدب والتاريخ فى العمل الفنى؟ هل هناك نوع أدبى ثالث يعطى الأدب والتاريخ حقيهما فى الصدق، الصدق التاريخى والصدق الفنى؟ النص المسرحى بطبيعة الحال ليس نصاً زمانياً تتبع أحداثه التتالى فى الزمان **Diachronism** بل هو نص فى الزمان ويعلو على الزمان فى آن واحد، فى معية زمانية واحدة **Synchronism** بين شهاب الدين

---

(٤) لسنج: تربية الجنس البشرى، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٧

أبــو الفتوح السهروردى وابن الصلاح على الرغم من أنهما غير متعاصرين. فقد تــوفى شــهاب الديــن عام ٥٨٧هــ وتوفى ابن الصلاح فى ٦٤٣هــ. ولم تكن فــتاويه قــد صدرت بعد وقت استشهاد شهاب الدين. وقد قتل السهروردى خنقاً وليــس صلباً مثل الحلاج ولكن الخيال الأدبى منذ المسيح والحلاج جعل الشهادة صــلباً. ومع ذلك النواة التاريخية صحيحة، أنه قتل بأمر صلاح الدين بحلب. فقد ضــيق عــليه الفقهاء والمتكلمون وشنعوا عليه وانتصر عليهم فى مناظرته لهم. ففرح به الملك الظاهر بن صلاح الدين مما أوغر صدر الفقهاء عليه. فشكوه إلى صــلاح الديــن ليحــذروه مــن فساده. فأمر صلاح الدين ابنه الظاهر بقتله بعد استشــارة فقهــاء حــلب. وفى طريقة قتله يمتزج التاريخ بالخيال. فالحقيقة لها روايات عدة. هل خنقه الظاهر فى قلعة حلب أم قذف به من فوق السور؟ أم مات الشهاب فى سجن زجاجى من صنع الوهم. وهل مات حقا أم أنه سيخرج من جسد ليدخــل فى جســد آخر كما هو الحال فى تناسخ الأرواح. والحقيقة دائمة وثابتة تتغير أشكالها.

وتضــم المســرحية أربعــة عشر منظراً بالإضافة إلى برولوج فى البداية، وبرولوج فى النهاية هو أقرب إلى الكلمة الختامية Postlogue . وتختلف المناظر فيما بينها طولاً وقصراً وهى إلى القصر أقرب(٥) وكل منظر له عنوان مستمد من الحــوار. وهى عــناوين دالة، أفكار مركزة مثل الأمثال والأقوال المأثورة. ويكثر الوصف على الحوار فالمسرحية تصوير، والمؤلف ليس فقط كاتباً مسرحياً بل هو المؤلــف والمخــرج فى آن واحــد، يصف حركات الشخصيات، ويحدد الإضاءة، ويضع الديكور. الحوار جزء قولى صغير من كل مسرحى جامع.

وأســماء الشخصــيات لهــا دلالاتها الاشتقاقية إيجاباً وسلباً. فمن الدلالات الإيجابية " نوران " الذى تفتح عليه المسرحية مختبئاً فى الظلام واسمه مشتق من الــنور وتســمع تــنهداته. وتنــتهى المسرحية به أيضاً. وهو من أتباع الشهاب

---

(٥) يشتمل كل منظر تقريباً فى المتوسط ثلاث صفحات، صفحتين إذا كان قصيراً وأربع صفحات إذا كان طويلاً.

ويعـارض فقهـاء السـلطان وجنده، رمزاً للشعب الباقى من البداية إلى النهاية. وشـهاب الديـن أبـو الفتوح وهو السهروردى نسبة إلى قرية سهرورد. وهو الشـهاب، النجم الساطع، وأبو الفتوح من الفتح الربانى. ولا يكون المريد مريداً حـتى يجد فى القرآن ما يريد. والدلالات السلبية مثل " الظاهر" ابن صلاح الدين الذى قتل الشهاب، وفقهاء السلطان بالرغم مما لديهم من أسماء مفتخرة مثل مجد الديـن، زين الدين، افتخار الدين، الذين يدافعون عن العقيدة الرسمية للدولة وهو المذهب الأشعرى ويفتون للسلطان ضد خصومه للتخلص منهم.

ويتخلل الاستشهاد بالقرآن وبالتوراة هذا الجو الصوفى رمزاً لوحدة الأديان عـند الصـوفية مثل (هذه القرية الظالم أهلها)، (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا). وهناك تشبيه مستعار من الإنجيل وهو: ما قيمة اللؤلؤة إن حبست نفسها فـى الصـدفة على منوال تشبيه المسيح: لو كان لديك مصباحاً فهل تضعه فوق السـور أم تحـت التخـت؟ ويستمد من التوراة، الصوت صوت يعقوب، واليد يد عيسو.

ويحاول النص المسرحى الجمع بين القديم والجديد كما هو الحال فى علوم القـراءة والـتأويل. فالجديد تنويع على القديم. والقديم مازال حاضراً فى الجديد. لذلـك تضـع المسرحية فى صدارتها عبارة فرويد "علينا أن نتذكر الماضى حتى نسـتطيع الـتوقف عن تكراره"، مما يتطلب القطيعة مع الماضى وتجاوزه. لذلك يقـول نوران "يقولون الماضى مضى وانتهى لا. إن ما حدث يحدث والزمان كله راهن". فالماضى مازال حاضراً، والحاضر مازال ماضياً. التاريخ يكرر نفسه. ذبح المعارض بتهمة الكفر والزندقة من فقهاء السلطان.

وقـد يكون ظهور الجديد وسط القديم والقديم وسط الجديد مدعاة للسخرية والضحك وأداة للإسقاط، فربما كان الجديد صوتاً نشاذاً فى معزوفة القديم وغريباً عليه. يعكر صفو القديم وجوّه التقليدى. ويتجلى ذلك فى شخصية البصّاص رجل المخابـرات بجهـازه اللاسلكى والبطارية الحديثة والريموت كنترول والبرجكتور وشريط الفيديو والكاميرا مما يخرج عن جو الخانقاه والزوايا والطرق الصوفية.

كما تظهر وسائط مستحدثة مثل تقنية السينما وتكثر عبارات الإخراج الحديث والفاظه مثل (كلوز أب، سلو موشن، مايم، زوم). وتظهر فى النهاية سيارة الشرطة والبحث فى البطاقة ومطاردة الإرهابيين. ويتدخل المخرج.

ويدخل فى حوار مع الكاتب والضابط. صحيح أن "شر البلية ما يضحك". ومع ذلك، هذه "الحداثة" تخرج النص المسرحى من رفعته وجلاله وعظمة الحدث ورهبته.

والموضوع الرئيسى للنص المسرحى الصلة بين الدين والسياسة أو بتعبير أدق بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، يتسلط الملوك والأمراء على رقاب الناس ويستعملون الفقهاء والمتكلمين لتشريع ذلك، واتهام كل المعارضين لهم من العلماء، والصوفية بالكفر والزندقة منذ الجعد بن درهم حتى نصر حامد أبو زيد مروراً بالحلاج وغيلان الدمشقى ومعبد الجهنى وعمرو المقصوص وشهاب الدين السهروردى ومن أول منظر فى المسرحية يقول نوران: "آه، لم أعد أميز بين الفقهاء والجنود" أى تواطؤ السلطتين الدينية والسياسية(٦).

وفى وصف أحد المناظر يأتى الأمير فى موكبه والفقهاء فى المعية. ويرجو الشهاب قائلاً "دع الخلق لفقه العسكر". ويدرك الشهاب أن بعض الخاصة ليسوا معه بالرغم من أنهم يدركون الرمز ويقرؤونه ويعرفون المراد منه. هم أقرب إلى جند السلطان وظله يميلون معه كيفما يميل. ويحتقرهم الأمير. ويعتبرهم الصعاليك عبيد إحساناته. فكيف يموت أحد من أجلهم؟ وهم الذين يدفعونه إلى الخلاص من فقهاء الأمة والحق والشعب "تقدم يا أمير، فكر فى والدك السلطان، فكر فى التاج، فكر فينا نحن الفقهاء، فكر فى الأمراء، فكر فى أهل حلب، فكر فى الدولة". فيفعل ويعلن الأمير "فقد مات أبو الفتوح، مات المؤيد بالملكوت، مات شيخ الوقت، مات السهروردى".

---

(٦) لذلك ترجمنا كتاب اسبينوزا "رسالة فى اللاهوت والسياسة"، القاهرة ١٩٧١، بيروت ١٩٨١ / ١٩٩٤.

وبتحليل مضمون عناوين المناظر، الأقوال المستمدة من الحوار تظهر الألفاظ الأكثر تردداً وهى الملك والدم، الجسد واليد، ثم الكمال والشر والصبر والصوت والجمال واللذة والحجاب والمريد والطير والموت والصدفة والنور والفلسفة[7]. الملك والدم رمز الملك والثورة، الحكم والمعارضة، واليد والجسد أدوات الفعل والشهادة. فالثائر هو الصوفى مثل الحلاج والشهاب، والمتكلم مثل ابن حزم وابن تيمية والعز بن عبد السلام يصفهم السلطان "إنهم ينفذون إلىّ من مأمنى ويقوضون ملكى يا قاضى". كما يعبر عن حيرته "إن بقى أفسد الملك وإن أطلق أفسد البلاد". ويدعو الشهاب فقهاء السلطان إلى عدم الخوف، «ما الذى تخافونه يا فقهاء؟". ونوران الذى يمثل نور الحق لا يخاف من الوالى وفقهاء السلطان بل يخاف من والى الحسبة أى الرقابة على الأسواق والأموال ومصالح الناس. يرى الشهاب أن حاكمية البشر يمكن مقاومتها واستبدالها من أجل حاكمية أخرى أكثر حرية وعدلاً. أما حاكمية الفقهاء، فإنها توسم الخارجين عليها بالكفر والزندقة مما يسلبهم أية قدرة على التغيير والتعديل لأنهم لن يكونوا فى معركة بين بشر وبشر بل فى معركة بينهم وبين الله.

ويحاصِرُ فقهاء الأمة الثوار عن طريق اتهامهم بالكفر والزندقة. فهم أقرب إلى الشيعة منهم إلى السُنّة ليس فقط على المستوى الفقهى فى ميراث العم مع البنت بل على المستوى العقائدى، فى الذات والصفات، صراع بين المذهب الأشعرى مذهب الدولة ومذاهب خصومها، الإمامية والإسماعيلية، الذين يقولون بالإمام المستور القادم ضد الإمام الظاهر القائم.

فقهاء السلطان يرفضون التأويل ويقولون إنه يؤدى إلى الكفر والزندقة. فالدين ظاهر وباطن. شريعة وحقيقة. ويرى صلاح الدين أن الباطنية لا يتركون العامة لما يرونه بل يدورون عليهم بالتفسير والتأويل. وهو حريص على الشريعة

(7) الملك، الدم (3)، الجسم، اليد (2)، الكمال، الشر، الصبر، الصوت، الجمال، اللذة، الحجاب، المريد، الطير، الموت، الصدفة، النور، الفلسفة (1)

فـــى مواجهـــة الصليبيين، الفعل فى العالم وليس الفعل فى القلب، من أجل جهاد العـــدو ولـــيس من أجل جهاد النفس. فالعدو فى الخارج وليس فى الداخل. ويرد الشهاب بأن الشريعة قائمة بالفهم لا بالسيف، وباقية بالتأويل لا بالتفسير. فيتّهمُ دعاة الأفكار المستوردة. فالشهاب رجل من فارس، يشتغل بعلوم العجم، بالفلسفة والمنطق كاليونان، وبالولاية والإمامة كالفرس والصابئة.

المســـرحية دفاع عن حرية الفكر. وهو ما صرح به الفقهاء السلطان مجد الديـــن وزيـــن الديـــن فـــى النهاية "إلى هذا الحد يموت الإنسان من أجل رأيه". والقضـــية هى صلاح الدين محرر القدس وقاهر الصليبيين وكأن ثمن النصر هو "تعقب المجرمين والمتفلسفين".

"لـــيلة الســـهروردى الأخـــيرة" و"مأساة الحلاج" يصبان فى موضوع واحد يحتاجه هذا العصر "الكتابة بالقلم والكتابة بالدم" حتى يقوم العلماء بدور الشهداء كتابة بالقلم، ويقوم الشهداء بدور العلماء كتابة بالدم.

برولوج

لقد سلم أخيرًا
أن ما يربط بين هذه الأحداث
ليس إلا دمًا غامضًا
يكمن فى ذاكرته!

(بعــد أن يظلــم المسرح نسمع صوت نهجان معذّب، يزداد شيئا فشــيئا، ويتوقف مع رفع الستار عن قلعة حلب حيث يمكن رؤية الــبوابة.المكان مهجور وجهم ويمكن ملاحظة الطريق الذى يؤدى إلــى المديــنة ، تدخــل مجموعة من الجنود تؤدى رقصة قاسية بالســيوف تعــبر عــن مهمــتهم فى تفتيش المكان وتأمينه، ومع انســحابها يعــود صوت النهجان، ثم يظهر "نوران" المختبئ، إنه رجل فى العقد الثالث يتلفت كالهارب، ويحمل خرجا على كتفه.

نحن فى القرن السادس الهجرى. الوقت قبل الغروب، ومع توالى الأحداث يكون قد حل الظلام.يقترب "نوران" من البوابة، وبعد أن يــتأكد من خلو المكان يضع الخرج، ثم يجلس مستندًا بظهره إلى الحائط).

نوران: (يدعك رجليه متوجعا) آه. **لم أعد أميز بين الفقهاء والجنود. متى ترتاح يا نوران. متى يتوقف مطاردوك. متى تشعر بالأمان.**

(نســمع تنهدات وتأوهات خافتة، يتلفت "نوران" مذعورًا. ولكنه لا يجــد شــيئا) **هــل قدرى أن أظل مطاردًا هكذا.ملاحقًا من بلد إلى بلــد.ومن زمن إلى زمن. التهمةُ جاهزةٌ دائماً. وهى لا تعرف مثل الخــيّة أى رأس ســتطبق علــيه.** (يتحســس عنقه،نسمع التنهدات والــتأوهات، ينتفض واقفا يتلفت مذعورا، ثم يتقدم باتجاه الجمهور) **هــل هــذا قدرى. أن أعدو فى البلاد معذبا بمعرفتى. متّهمًا أحمل**

موتـــى (نسمع التأوهات، يتلفت مذعورا ثم يخطر له أن يتنصّت علـــى الخرج !! يبدو متحيرا وهو يقلب فى الكتب وكأنه يبحث عن مصـــدر التأوهات) **هل قدرى أن أعدو بهؤلاء. بالدم الذى تركوه فـــى الكتب ؟ لم لا ألقى بها وأمضى خفيفا كالعصفور؟ هكذا. هكذا** (مقلدا الطائر ثم مواجهًا للجمهور) **يقولون الماضى مضى وانتهى. كصورةٍ عبرت المرآة. لماذا لا أقول مثلهم وأرتاح. فكّر يا نوران. فكّر. لماذا تعتقد أن ما حدث يحدث!! وأن الزمان كله راهن. لماذا لا أقـــايض دمى بكتبى. وراحتى بمعرفتى؟ تعبت. تعبت.** (يهم بإلقاء الكتـــب. لكنه ينشغل بقراءة عناوينها فتلين ملامحه الغاضبة وتظهر محبته) **لا.لا يا نوران. هل تلقى بأعضائك يا رجل** (نسمع التأوهات فيعود إلى التقليب فى الخرج) **هل ألقى بيدىّ ورجلىّ ورأسى. ماذا يـــبقى منى.هل أطوح بهذا الدم الذى يتأوّه بين الأوراق.لا.لا. هذا قـــدرك يا نوران. ربما من أجل هذا. نعم.ربما لهذا** (يكون قد جلس مســـتندا بظهـــره إلـــى الحـــائط بجوار البوابة، ممددا رجليه باتجاه الجمهـــور، ينتـــبه إلى تساقط قطرات على رأسه وملابسه) **ما هذا** (يـــتفحص القطرات ثم مذعورا) **دم!!. نعم. إنه دم. هل تمطر هذه المديـــنة دمـــاً.** (يـــرفع رأسه لأعلى فتظهر عليه علامات الدهشة والرعب) **ما هذا. يا الله!!** (ينهض مفزوعا. يضع بارتباك وخوف الكتـــب فـــى الخرج. لا يعرف ماذا يفعل، تزداد التأوهات المعذبة بيـــنما يـــتابع "نوران" هبوط شيء من أعلى المسرح – إنه صليب مثبـــت علـــيه الســـهروردى – يهـــبط على بوابة القلعة – لا يزال الســـهروردى حـــيّا ولكنه يحتضر. إنه بهى شديد الحضور – فى نهايـــة العقـــد الثالـــث) **من أنت. ومن الذى فعل بك هذا. لابد أنها الكتـــب! الكتـــب! أليس كذلك؟!** (يهبط السهروردى من على صليبه ويـــتقدم بوهـــن من "نوران" الذى يتراجع بخوف أولا ثم يتقدم منه بمحـــبة، يمســـح الدم من على وجه السهروردى ويبحث عن الماء حتى يجد زمزمية فيسقيه) **من أنت يا سيدى.**

الشهاب: (بارهاق واضح) أنا الشهاب السهروردى.

نوران: (بسعادة) أهو أنت! أنت. شهاب الدين السهروردى. يا الله. لقد حلمت بلقائك. ولكن. لماذا. أقصد ما الذى جرى هنا يا شيخ.

الشهاب: هذا قدرى. وأنت.

نوران: نوران. اسمى نوران. قضيت حياتى أطلب العلم. ولكن. لماذا جئت إلى حلب يا شيخ.

الشهاب: ولماذا لا آتى إلى حلب.

نوران: حلب. حلب فى ملك صلاح الدين.وهو كما تعرف.

الشهاب: (مقاطعا) أعرف يا بنى. ولكن. ما قيمة اللؤلؤة إن حبستْ نفسها فى الصّدفة. وكتمتْ نورها عن السالكين؟

نوران: نعم. نعم. قرأت بعض كتبك يا سيدى. انتظر. إنها معى هنا (يتوجه إلى الخرج).

الشهاب: اقرأ حكمة الإشراق (يتوقف نوران).

نوران: حكمة الإشراق؟! لم أسمع به يا شيخ؟

الشهاب: كتبته هنا. فى حلب.

نوران: ولكن. ما الذى حدث (مشيرا إلى صليبه) ما هى الحكاية يا شيخ. (تسمع ضجة الأهالى - يتقدم السهروردى ويأخذ هيئة المصلوب، يتابع نوران بين الدهشة والذعر ارتفاع الصليب بالسهروردى، ثم يقترب رافعا رأسه متطلعا إليه) ما الذى حدث؟ ما الذى حدث يا شيخ.

الشهاب: ستعرف من أهل حلب! (تتزايد الضجة، ويدخل الأهالى يحملون شموعا، ثم يتجمعون تحت قدمىّ السهروردى - يتراجع نوران إلى مقدمة المسرح).

امرأة ١: انظرى. انظرى إلى عينيه.

امرأة ٢: إنه يحتضر. مسكين. لن يظل حتى الفجر.

رجل ١: على البوابة الأخرى. تلميذه. شمس الدين.

رجل ٢: رأيته. إنه ميت منذ الصباح.

رجل ٣: ولكن. لماذا يقتلونهما أصلا!

رجل ١: لا أعرف.

رجل ٤: قالوا إنهم كفرة.

امرأة ١: انظرى إلى عينيه.

امرأة ٢: رأيته مرة وهو يخرج من المسجد. كان جميلا وورعا. (يتزايد اللغط مع دخول آخرين يحملون شموعا، ثم يدخل البصّاص وهو رجل متجهم عصبى يحمل جهازا لاسلكيا، وبطارية حديثة، إنه يفتش المكان).

رجل ٥: وصلنا فى الوقت المناسب.

رجل ٦: نعم. نستطيع الآن أن نلقى نظرة قبل أن يأتى الموكب.

رجل ٧: أى موكب.

رجل ٨: موكب الأمير. إنه وراءنا.

رجل ٢: (بفرح) الأمير.سنرى الأمير!

رجل ٨: نعم. والفقهاء أيضا (نسمع نفيرا وطبلا ملكيا بعيدا – تحدث حالة من الهرج ويكتشف البصّاص وجود نوران فيتهيأ لملاحقته، لكنه يختفى بين الجموع التى تتجمد، ويحاول البصاص مطاردة نوران (سلوموشن) بينما تبدأالشموع فى الانطفاء واحدة بعد الأخرى،

حتى يظلم المسرح تماما بينما يسمع بوضوح متزايد صوت نهجان
نوران المعذب من بين الجمهور).

١

أما أنا
فأبحثُ عن كمالى
هناك

(المسرح مظلم – نسمع موسيقى سلطانية ومع نهايتها نرى بقعة ضوء على المخرج الذى يتجول فى الصالة يقرأ من النص)

المخرج: **هـــذا هو الأمير. أمير حلب. الظاهر غازى. ابن السلطان صلاح الديـــن. إنـــه فـــى التاسعة عشرة.بهيا وجميلا كما ترون.إنه فى السوق** (يضاء المسرح فنرى الأمير ومعه تابعان – كل من على المســـرح فى زىٍّ هذه الأيام – الأمير متبرم وغير سعيد أو راض بشىء).

الأمير: **لا. لا. لا شـــىء يليق بها. إنها أضوأ من كل جوهر. وأجمل من كل حجر كريم** (يخرج التابع ٢).

تابع ١: **إلى هذا الحد يا مولاى!!**

الأمير: (مســـتنكرا) **كـــأنك لا تعرف!!** (يدخل التابع ٢ مع فتاة ويتقدم إلى الأمير مهرولا).

التابع ٢: **انظر. انظر يا مولاى.**

البائعة: (تـــتقدم مـــن الأمير بدلال) **زمردة. انظر يا مولاى.** (تدور حوله) **إنها آخر ما وصل إلينا. انظر إلى ألوانها. انظر إلى صفائها** (تكاد تتحرش به وتضع الزمردة على صدرها فى إغراء واضح) **انظـــر يا مولاى.**

الأمير: (يـــأخذ الزمردة ويرفعها إلى الضوء وينظر إليها معجبا) **جميلة. جميلة حقا ومع ذلك. لا تليق بمن أريد. بكم هذه.**

البائعة: (بـدلال وهى تقطع الكلمات) **عشرة آلاف فقط. فقط. إكراماً لمن يكرم الجمال. يا لها من محظوظة.**

الأمير: (ضاحكا) **من.**

البائعة: (متداركة) **الزمردة. الزمردة يا مولاى.**

الأمير: (شـاردا يقذف الزمردة فى الهواء ثم يلتقطها فتدخل معه فى اللعبة وتـتحرش به بشكل واضح) **نعم. يا لها من محظوظة** (للتابع ٢) **اعطها شيكا. بكم قلت.**

البائعة: **عشرة آلاف يا مولاى.**

الأمير: (ممسـكا بذقنها يتأملها مبتسما) **اعطها خمسة عشر ألفا. قد تكون فألا حسنا فالجميل سكة للجميل.** (تضحك بدلال وتتملص بأنوثة – الـتابع يحرر الشيك ويعطيه للأمير ليوقعه فتعطيه ظهرها ليتمكن من التوقيع ثم تأخذ الشيك وفى طريقها للخروج).

البائعة: **ستقودك إلى ما تريد!!**

التابع ٢: (خارجا وراء ها) **التوقيع الثانى. انتظرى.**

التابع ١: **يكفـى هذا يا مولاى. لقد أضعنا النهار كله. فلا تضيّع الليل أيضا** (ملمحا إلى مسرّات نسائية – جلبة وضوضاء)

الأمير: **انـتظر. ما هذا؟** (يظهر على المسرح صبى بهيئة القرن السادس الهجـرى. إنه الوحيد الشاذ فى المشهد كله. يجرى ويجرى وراءه الـتابع ٢ واثـنان مـن التجار. أخيرا يسـتطيع الأمير أن يمسك بالتابع ٢) **ما هذا.**

التابع ٢: (وهوينهج) **عفوا يا مولاى. هذا الصبى معه جوهرة غريبة.**

الأمير: (بدهشة) **جوهرة!**

التاجر١: (مســتمرا فى مساومة الصبى وهو ينهج) **انتظر يا ولد. سأجعلها خمسة عشر ألفاً** (يلاحظ وجود الأمير فيرتبك وينحنى، يفعل ذلك أيضا التاجر ٢).

التاجر ٢: (وهــو يـسنهج) **لا.لا.لا تبخس هذه الجوهرة. يا ولد.قل لصاحبك عشــرين.عشــرين ألفا. وإذا وافق. سأعطيك مكافأة خاصة. هل تفهم.**

التابع ٢: **اقترب يا ولد. دع الأمير يرى الجوهرة.**

تاجر ١: (على جنب للتاجر٢ وبخيبة أمل واضحة) **يبدو أن الأمير سيدخل المزا د** (يخرجان).

الصبى: (مندهشا من هيئة الأمير العصرية وماداً يده بالجوهرة) **الأمير!!**

الأمير: (يــأخذ الجوهرة ويقلبها مذهولا) آه. **إنها هى. هى. من أين أتيت بها يا ولد؟**

الصبى: (متلجلجا) **إنها. إنها..**

التابع ٢: **لا تخف.**

التابع ١: **من أين جئت بها.**

الصبى: (مذعورا) **إنها لى. لم آخذها من أحد.**

الأمير: (شــاردا) **كأنهــا شحمة أذنها فى ضوء الشمس.يا الله. كل هذا الــنور!!** (حاسما) **لمن هذه الجوهرة يا ولد.** (يمد يده بها للصبى الذى يستعيد روعه).

الصبى: **إنها لرجل فقير يا مولاى. فقير. وقد أرسلنى لأثمّنها فى السوق. وقد سمعتَ ما قاله التجار.**

الأمير: لا.لا. (للتابع ٢) اذهب مع الولد إلى صاحبها وقل له (منفوخا كالطاووس) الأمير. أمير حلب. يدفع فيها ثلاثين ألفا. هيا. (يتحرك التابع ٢ مع الولد فيستوقفه الأمير قائلا) ترفق بالرجل. وإذا وافق هاته معك.

الصبى: إنه لا يذهب إلى أحد يا مولاى.

الأمير: (مندهشا وأقرب إلى الغضب) كيف. أنا الأمير. من يكون هذا الرجل؟

الصبى: فقير يا مولاى. وغريب عن حلب. أرسلنى إليه سيدى افتخار الدين.

الأمير: ومن يكون هذا أيضا؟

التابع ١: يقصد الشيخ افتخار الدين. رئيس المدرسة الحلاوية.

الأمير: (متذكرا) آه. نعم. نعم.

الصبى: أرسلنى إليه بثياب جديدة.فأخرج هذه الجوهرة وقال. اسأل عن ثمنها فى السوق.

الأمير: (يقلب فى الجوهرة متعجبا) فقير وغريب! اسمع يا ولد. قل له إننى أعطيه فى الجوهرة ما يشاء.

الصبى: سأفعل يا مولاى.

الأمير: (للتابع ٢) ترفق بالرجل. أريد الجوهرة. هل تفهم (حالما) ستكون درّة تاجى.

التابع ١: (مندهشا) تقول التاج يا مولاى.

الأمير: (مازال حالما) نعم. عندما أصبح ملكا على حلب.

التابع ١: و. وهى. هى يا مولاى (ملمحاً).

الأمير: (منتبها) آه. سأجد لها جوهرة أخرى.

إظلام

(تصفيق. بقعة ضوء تبحث عن الذى يصفق. إنه الكاتب. رجل فى العقد الخامس يصعد المسرح الذى يضاء على نفس المشهد ويقابل بحفـــاوة الممثليـــن - يضع ذراعه على كتفى الأمير ويتحدث معه متجولا)

الكاتب: هناك ملحوظة واحدة.

الأمير: أمرك يا أستاذ.

الكاتب: أريد أن أشعر أن الجوهرة قد صعقتك. أنت طبعا لم تر فى حياتك جوهـــرة. فما بالك بأمير معتاد على الجواهر.ويرى أن هذه غير كـــل ما رأى فى حياته. أريد أن أشعر.أن قوة غامضة قد خرجت منها ومسّتك.هذا مهم جداً. لأنك بهذه اللمسة ستبدأ فى التحول. ولـــن تعـــود إلى ما كنت عليه أبدا. لذا عليك أن تقول " ما يشاء هذه" وكأنك تقصد حياتك كلها.

الأمير: (مســـــتعيدا هيـــئة ونبرة الأمير) اســـمع. قل له أننى أعطيه فى الجوهرة ما يشاء.

المخرج: (يدخل المخرج مصطحبا البائعة) ما يشاء.

الأمير: ما يشاء.

الكاتب: معقول.

المخرج: (للبائعة مستأنفاً كلاماً قبل الدخول) لا. أنتِ تحاولين سرقة الكاميرا

البائعة: (منتظرة إطراء الكاتب) هذا قدرى. امرأة وسط ذكور.

المخرج: لا. أنتِ تشوّشين على المتفرج. المشهد كله للأمير. لهذا الإحساس الجديد الذى يغزوه فجاة، وينبئ عن التغيير.

الكاتب: أنتِ تضيفين تأويلك للنص.

البائعة: (ضاحكة) أليس هذا ما نفعله جميعاً.

الكاتب: نعم. ولكنك عاطفية جداً فى هذا المشهد.

البائعة: إننى أفهم ما تقول (تتحرك مع الكاتب) لكنى لا أتمالك نفسى. صدقنى. إننى أشعر بانزلاقى البطىء. وأقول لنفسى سأتوقف فى اللحظة القادمة. (بأسى) ثم أستمر! صورته فى التاريخ قاهرة يا أستاذ.وأنا أسير إليه كمنوّمة.هنا. فى المسرح وفى الحياة (تشير إلى الأمير خفية) لا يكاد يلفت نظرى.ولكن فى هذه الملابس. وبهذه اللغة. أشعر وكأننى أعيش لحظة تائهة من حياتى.لحظة ضائعة.مهدرة.كان يمكن أن أعيشها. وها هى. تأتى فجأة كما لو كان بسحر ما. صدقنى. إننى أبحث عن كمالى هناك.

المخرج: (للصبى) دور شاى. وقهوة للأستاذ (يخرج مع البائعة مستأنفا كلامه بانتويم).

الكاتب: مضبوط يا ابنى!

إظلام

٢

أرشّكم بالنور وترشّونني بالدم

(إظلام – صوت اصطفاق أجنحة يظهر ويختفى، يمتزج أحيانا مع نهجان نوران، وأحيانا مع اللحن الأساسى لأغنية:

بالسرّ إن باحوا ُتباحُ دماؤهم
وكذا دماءُ العاشقين ُتباحُ

بيت السهروردى، تستعرض بقعة الضوء وجوه التلاميذ تم تتوقف علـى الشـهاب السهروردى، شاب فى أواخر الثلاثينيات، جميل الطلعـة، ذرىّ الهيئة، مهاب وله حضور طاغ – الجميع فى هيئة وزىّ القرن السادس الهجرى).

الشهاب: (مستأنفا الكلام) **كنـت نائماً يا أحبائى عندما أيقظنى الهاتف. سـمعتُ اصطفاق أجنحة. وجاءنى الصوتُ عميقاً غامضاً يقول. أنا جبرائيل قم وتوضأ. ارتعدت فرائصى. وتحاملت حتى نهضت. كـنا فى الشتاء.لكننى. وجدت الماء دافئاً على أطرافى. توضأتُ وانـتظرت كالمذنـب. تملؤنى الهواجس. وفجأة.** (صوت طرق مفاجئ على الباب يجعل التلاميذ يجفلون).

الشهاب: **افتح الباب يا ولدى.**

تلميذ ١: (خائفا) **جبرائيل!**

الشهاب: **افـتح يا ولدى. إنه رسول الأمير** (يتقدم التلميذ إلى الباب، يفتحة ويدخـل الصبى والتابع، الذى يبدو شاذا بهيئته العصرية – يتأمل المكان باستعلاء وذراية).

الصبى: سيدى (بفرح) أرسل الأمير معى هذا الرجل.

التابع٢: السلام على سيد المكان (متأففا من هيئة الشهاب).

الشهاب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

التابع٢: (متلفـتا يفحص المكان) أنا رئيس ديوان المحاسبة. ونائب مولانا الأمـير لشـئون المـال والأشـغال.و.. وقد أعجبته الجوهرةُ. ويستأذنك فى شرائها. هل تقبل بثلاثين ألفاً.

تلميذ٢: (مندهشا) ثلاثون ألفاً!

التابع٢: (مشجعاً) إنه مبلغ كبير كما ترى. كبير جداً يا شيخ (يخرج دفتر الشيكات).

الشهاب: هل قال ذلك؟

الصبى: (مندفعا بسعادة) بل قال إنه يدفع فيها ما تشاء (مقلداً الأمير).

التابع٢: (مغرياً للشهاب وهو يتلفت حوله باستياء) تستطيع أن تشترى دارا أخرى. نعم. وتترك هذا الجحر.هل تستطيع التنفس هنا!!

تلميذ٣: تقول داراً جديدة!!

التابع٢: نعـم. نعـم. يدخلهـا الهـواءُ والـنور. و.. وتكـون لـك جاريةٌ.وخادم.و..

الشهاب: (مقاطعـا بحسم) انتظر. (يباغت التابع٢ والتلاميذ. فيجفلون بينما يـتقدم الشهاب فيأخذ الجوهرة من الصبى ويروح يتأملها) إلى هذا الحـد.. للـنور هذه الجذبة. إن إقباله عليها هو أنسُ النور بنور الـنور. يـا منجى الهلكى. ويا غيّاث من استغاث.إن ذاتا هبطت فاغتربتْ. وتذكّرتْ فاضطربتْ. وسارعتْ فمُنعتْ. فهل إلى الوصل من سبيل. (ينهض ضارعاً إلى السماء بينما يستمرون فى الدوران

حولـــه) **أيّدنا بالنور.وثبتنا على النور. واحشرنا إلى النور. ظلمنا أنفســـنا. ولست على الفيض بضنين** (يقعى مرة أخرى ثم يمد يده عالـــيا فيلـــتقط حجـــراً من الهواء ويهوى به على الجوهرة بغتة فتتحطم بضربة واحدة – تتصاعد أصواتُ اصطفاق الأجنحة بقوة ثـــم يعقـــبها صمتٌ نسمع فيه همهمة آسفة من الجميع. ينهضون واحـــداً واحداً بينما يظل الشهاب يتأمل فى باقى الجوهرة والتابع٢ يـــنظر متعجـــبا وكأنه أمام مجنون.ينهض الشهاب وقد وضع فى باطن كفه بودرة الجوهرة – يدورعليهم واحدا واحدا وينفخ البودرة فى اتجاههم وهو يقول):

الشهاب: **أرشـــكم بالنور. وترشوننى بالدم.** (يخرج التابع٢ الذى كان يتابع كل هذا مذهولا – يشير الشهاب إلى ملابس جديدة معلقة فى مكان ما محدثا الصبى) **يا غلام. خذ الثياب.** (يأخذ الصبى الثياب ويكاد يعـــدو فيستوقفه) **قل لمولاك افتخار الدين. لو أردنا الثياب لجاءتنا تســـعى.** (يخرج الصبى بينما يأخذ التلاميذ أماكنهم حول الشهاب الـــذى يستأنف درسه مرة أخرى – مايم – وتبدأ موسيقى الأغنية فى التصاعد مع تخافت الإضاءة حتى الإظلام).

إظلام

٣

الفلسفة شرٌ ومدخلُ الشر شرٌ

(المســرح مظلــم. نسمع نهجان نوران يتزايد، ثم يتوقف فجأة مع ســقوط الضــوء علــى مجــد الدين يدرّس لتلاميذه فى المدرسة الحلاوية).

تلميذ ١: تحيّرنا يا سيدى فى الشهاب السهروردى.

مجد الدين: (كالملدوغ) الشهاب!! لماذا يا بنىَ؟

تلميذ ١: يتحدثون عنه وكأنه سيد الوقت. فأردت أن أعرف رأيكم فيه.

مجد الدين: رأيى فى من!! فى رجل مخلّط مخرّق مشعوذ!

تلميذ ٢: يقولون إنه فيلسوف يا مولانا ومن المشتغلين بالمنطق.

مجد الدين: فيلســوف! لقــد ســئل فى أمثاله إمام الحديث وأوحد أهل زمانه مولانا ابن الصلاح الشهرزورى.

تلميذ ٢: سئل عن ماذا؟

مجد الدين: سألوه: هل أباح الشارعُ الاشتغال بالمنطق تعلّما أو تعليماً؟

فأفــتى الإمــام نفعــنا الله بعلمه وقال (يتخذ هيئة الشهرزورى) الفلسفةُ أسّ السفه والانحلال. ومادةُ الحيرة والضلال ومثارُ الزيغ والــزندقة. ومــن تفلســف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة. المؤيدة بالحجج الظاهرة.

تلميذ٢: الفلسفة إذن حرام.

مجد الدين: (عائدا إلى طبيعته) حرام قطعاً.

تلميذ٢: (ناظــرا إلى التلميذ١ وكأنه يُسمعه ما يقول مجد الدين) وماذا عن المنطق يا سيدى؟

مجد الدين: آه. (بغــيظ) المنطق. (متخذا هيئة الشهرزورى) أما المنطق فهو مدخـــل الفلســفة. ومدخل الشر شر. وليس الاشتغال بتعليمه أو تعلمه مما أباحه الشرع. و لا أحد من الصحابة و التابعين.

تلميذ٢: (لتلميذ١) أسمعت. وماذا عن واجب السلطان أو ولىّ الأمر بإزاء شخص يدرس الفلسفة و المنطق بمدرسة من المدارس العامة؟

مجد الدين: آه. هذا هو الخطر. نعود إلى فتوى الإمام.يقول وفقكم الله ووقاكم شر البدع (متخذا هيئة الشهرزورى) يجب على السلطان أن يدفع عــن المســلمين شــر هؤلاء المشائيم. فيخرجهم من المدارس. ويبعدهم. ويعاقب على الاشتغال بفنهم. وأن يعرض من ظهر منه إيمان بعقائد الفلاسفة على السيف أو الإسلام.

تلميذ٢: (للتلميذ ١) أسمعت. لم لا تتكلم؟

مجد الدين: (مأخوذا) ماذا. هل تذهب إلى هذا المأفون!!

تلميذ٢: نعم يا سيدى. ويتيه علينا كالطاووس بما ينقله عنه.

مجد الدين: (غاضبا) أتذهب إليه يا شمس الدين؟

تلميذ١: أردت فقط أن أسمع. إنه الفضول يا سيدى.

تلميذ٢: لا تكذب. أره ما كتبت وراءه.

مجد الدين: وتكتب وراءه! لا حول ولا قوة إلا بالله.

تلميذ٢: أخــرج الرقعة يا شمس. (يحاول أن يأخذها من بين ثيابه فيقاوم شــمس ولكن التلاميذ يتكاثرون عليه ويستطيع تلميذ٢ أن يخرجها

بينما نسمع بوضوح نهجان نوران) ها هى. انظر يا سيدى.

مجد الدين: (غاضبا) وتكتب وراءه! (للتلميذ٣) اقرأ يا بنى.

التلميذ٣: (يتتعــتع وهو يقرأ) و.. واعلموا.. وفقكم الله أن هناك فرقا بين فقــه الشيعة وفقه أهل السنة فى ميراث العم مع البنت. و أصله الخــلاف علــى من يرث النبوة، ويقوم على الشريعة. فاطمة أم العباس.فإذا لكل فرقة فقة. ولكل إجابة خلافة.

مجد الدين: (مــأخوذا) انتظر. أتكتب وراءه هذه الخزعبلات؟! (ينزع الرقعة) أمــا أنــت. فلا أريد أن أراك.اذهب ولا تحضر درسى مرة أخرى (يمــزق الــرقعة غاضــبا) هيا انصرفوا.يكفى هذا اليوم (يخرج التلامــيذ. ونســمع نهجــان نوران، بعد أن يتأكد مجد الدين من خــروجهم يجمع أجزاء الرقعة ويقعى يقرأ، فى هذه الأثناء يدخل المخرج والكاتب، يدوران حوله دون أن ينتبه، ثم ينحنيان ليريا ما يقــرأ، مجــد الدين غاضبا ومبعثرا أجزاء الرقعة) أىّ فقه، وأىّ خلافة. يا كافر.

المخرج: كل هذه القسوة!

مجد الدين: (مباغتا) أى قسوة.هذا ليس كلامى (مستدركا) ولكن من أنت.من أنتما؟

الكاتب: رجــل مــن عباد الله يا شيخ. يريد أن يفهم. ألم يقولوا أن الفهم باب الحكم.

مجد الدين: (متوجســا) أى فهــم و أى حكم. الحاكمية لله.من أنتما.ومن أين جئتما؟

المخرج: نحن طلاب علم يا شيخ. وقد سلكنا إلى حلب أطول الطرق.

الكاتب: مخافة أن نقع فى أيدى الصليبيين.

مجد الدين: (متشـــككا) وما هذه الثياب. (مشيرا إلى كونها عصرية) أتلبسون هكذا فى بلادكم؟

المخرج: نعم يا شيخ.

مجد الدين: غريب. أهلا. أهلا بكما على أى حال فى المدرسة الحلاوية.

الكاتب: شكرا.. ومن أنت يا سيدى؟

مجد الدين: (بزهو) أنا مجد الدين بن جهيل.

المخرج: فأين نجد الشيخ الأكبر يا سيدى.

مجد الدين: (مستبشـــرا) تريدان الشيخ افتخار الدين. أتدرسان مذهب الحنفية إذن؟

الكاتب: بل نريد الاستماع إلى الشهاب السهروردى.

مجد الدين: (مـــأخوذا وغاضبا) من. أجئتما من دمشق من أجل السهروردى؟ إنه لا يدرس هنا. لا يدرس فى مدارس السلطان.

المخرج: فأين نجده يا شيخ؟

مجد الدين: إذهبا عنى. إنه هناك. فى بلاط الأمير.

الكاتب: قالوا رأيناه يمضى باتجاه المدرسة.

مجد الدين: (منصـــرفا بشكل غير لائق) اذهبا. اذهبا عنى. أو دعونى أذهب. تهـــربان مـــن العـــدو الظاهر لتقعا فى شباك عدوّ باطن. عقول فاسدة. فاسدة (يهرول خارجا وهما يراقبانه ساخرين).

إظلام

٤

ألم أقل لك
لن تستطيعَ معِى
صَبْرًا!

(مجلس الأمير الظاهر – مجموعة من الفقهاء وأصحاب الرأى ينهمكون فى أحاديث جانبية فى انتظار قدوم الأمير والشهاب).

زين الدين: **لا أعرف ما الذى يعجبه فى هذا المخرّق الزرىّ؟**

افتخار الدين: **كونه زرياً فلأنه من الزّهّاد يا زين الدين.**

زين الدين: **إنه يسفّهنا يا شيخ. وكأنه قد أوتى الحكمة وحده.**

مجد الدين: (ساخرا) **ولم لا، أولم يحلم أنه شرب البحر فلما سألوه عن ذلك قال هو العلم!**

الحاجب: (بصوت مرتفع بروتوكولى) **الأمير الظاهر غازى. ابن السلطان الناصر صلاح الدين** (موسيقى سلطانية – يتوقف الجميع عن الضحك ويسود الصمت ثم يدخل الأمير ومعه السهروردى الذى يبدو بهيّا فى ثوب نظيف لكنه بسيط – الأمير والشهاب يستكملان حديثهما).

الأمير: **أنا وأنت كموسى وهارون.**

الشهاب: **لا.** (بحسم) **بل كموسى والخضر.**

الأمير: (مندهشا) **الخضر!!**

الشهاب: **نعم. عندما قال: إنك لن تستطيع معى صبرا.**

الأمير: (متفهما) **بل سأكون إن شاء الله من الصابرين.** (مواجهاً الجميع

بعــد أن يصل إلى مجلسه وإلى جواره الشهاب) هذا أيها السادة.. الشيخ أبو الفتوح شهاب الدين السهروردى. ولا شك عندى أنكم تعــرفونه (يجلس فيجلسون ويوسع للشهاب إلى جانبه) فلا أحد إلا وأخذ منه.. أو أخذ عليه (يضحك).

سديد الدين: أهلا بشيخ الوقت!

مجد الدين: (بلهجــة تعــريض) أهــلا بالفيلســوف صاحب الألواح العمادية (مســتدركا بخبــث) أمــا تكتب لمولانا كتابا. كما فعلت مع أمير الموصل عماد الدين؟

زين الدين: أو تنظم له أرجوزة، تشرح فيها مذهبك عن الأنوار الإلهية؟

مجد الدين: نعم. كالتى نظمها قطب الدين النيسابورى للسلطان، وشرح فيها المذهب الأشعرى. (متوجها للأمير) أما كنتم تحفظونها يا مولاى؟

الأمير: نعــم. كــان أبى يحفظها. وكان يراجعها معنا فإذا غاب فعل ذلك القاضـــى ابــن درباس. أبى أشعرى شافعى مثلكم والشهاب غير ذلك. وهذا ما يدعونى لصحبته وسماعه.

مجد الدين: (مغيرا الحديث إلى السهروردى) أنت الآن فى بلاط أمير حلب.ألا تلبس شيئا غير هذا اللباد الأسود؟

الشهاب: يتوسخ.

مجد الدين: (مندهشا) تغسله!

الشهاب: يتوسخ.

مجد الدين: (بغضب ظاهر) تغسله يا شيخ.

الشهاب: مــا حييــت لغســل الثياب يا مجد الدين. (بكبرياء) لى شغل أهم (يضــحك الأمــير والجالســون - يــنهض الشهاب ويقترب من

الأخويـــن) قـــل لى يا زين الدين. هذه النقوش الجميلة فى ثوبك (متحسسا ثيابه) هل تصلى لك؟

زين الدين: (مبهوتا) كلا!!

الشهاب: هل تصلى عنك؟

زين الدين: لا !!

الشهاب: فهل تشفع لك عند الله؟

زين الدين: كلا يا شيخ. حاشا لله.

الشهاب: (مواجها الجميع) التمرة ظاهرها لذيذ و باطنها منيع. أما الجوزة فباطـــنها طيـــب وظاهرها خشن (مفاجئا مجد الدين) هل تتاجر يا مجد الدين؟

مجد الدين: كلا.

الشهاب: هل تزرع أو تحصد؟

مجد الدين: (بازدراء) لا. لا.

الشهاب: هل تنسخ الكتب بالأجر؟

مجد الدين: (مندهشا) أنا. كلا.

الشهاب: من أين إذن هذه الثياب؟ من أين هذه الأبهة والترف يا شيخ؟

افتخار الدين: إنـــه يـــدرّس مذهب الشافعى يا شهاب.ويأخذ أجراً على هذا. ما الغريب فى ذلك؟

الشهاب: الغريـــب (مندهشـــا) الغريـــب أن يؤخذ على التعليم أجر.هل كان الشـــافعى رحمـــه الله يأخذ أجراً على علمه؟ هل كان يبيع مذهبه للـــناس! ثـــم أنكم لا تدرسون المذاهب كلها.بل تدرسون المذهب

الـــذى ارتضـــاه السلطان. والحقيقة أكبر من الشافعى يا فقهاء. الحقيقة أكبر من السلطان.

الأمير: (مستحسناً) هذا ما أريد أن أسمعه يا فقهاء. هذا ما لا أحد يقوله لى.

افتخار الدين: لكن هذا مشاعٌ بين الباطنية يا أمير.

الشهاب: لكلّ حظُّه من الإشراق. هذا فيضُ الله يؤتيه من يشاء.

مجد الدين: لكنك تسىء للشافعى.

زين العابدين: وتعرّض بالسلطان.

الأمير: (واقفـا وبحزم) عندك.أنت تسىء الفهم. الشهاب قال إن الله أكبر من الشافعى ومن السلطان. وأن أحداً لا يملك الحقيقة وحده.هذا ما قاله. وهذا ما فهمت.

افتخار الدين: لكننا فى حربٍ يا شهاب الدين. وأعداؤنا يحيطون بنا كالسوار.

زين الدين: وهــم. كمـــا تعلم. كارهون لمجد الإسلام راغبون فى هدمه، فهل نساعدهم على الإسلام بتشتيت أفكار الناس و إلهائهم بالخلافات. أم نحشدهم على إسلام واضح هو إسلام الصحابة والتابعين؟

مجد الدين: (مندفعاً) هل نواجه العدو باختلافنا أم باتفاقنا يا شيخ؟

الشهاب: (شـــارداً) موافقـــة العاقل لا موافقة الخائف أو الطامع. (للأمير) فماذا إذا هزمت الأعداء وقتلت الرعيّة؟

الأمير: (مندهشاً بين همهمة المعارضة من الجميع) كيف؟

الشهاب: الزهــرة لا تــنوب عــن البستان يا أمير. فإذا أنت قتلت عقول الناس. وقسرتهم على اعتناق عقيدة السلطان، فقد جعلتهم جنوداً لا بشراً. جنودا تحقق بهم نصراً لا يدافع عنه أحد. ومملكة تقوم على الهواء.

زين الدين: لكنك بهذا تشق الجماعة. وتغرى بالبدع والفلسفة.

مجد الدين: هــذا أمر خطير. (يظهر البصاص بشكل سرى ويستخدم اللاسلكى ثم يختفى)

الأمير: (مـتجوّلاً – مهموماً) أنت تعنيك الحقيقة. وترى أن وجهاً منها لا ينوب عن الآخر حسناً. أنا أيضا تعنينى الحقيقة . ولكن. (يمد يده ويجـذب خـيطا فتنزل لوحةٌ كبيرةٌ عليها خريطة الدولة الأيوبية) إدارة دولة هائلة كهذه، ليس أمراً سهلاً يا شهاب.انظر. إنهم هنا (مشـيراً إلـى فلسـطين) بعـد كـل هـذه الحـروب.لا يزالون هنا.والفاطميون لم ييأسوا بعد من استعادة ملكهم الضائع.

افتخار الدين: الضرورات تبيحُ المحظورات يا شيخ.

الشهاب: ألا تصيب الضرورات إلا العقل يا فقهاء! ألا تأخذ الحرب مؤنتها إلا من الفقراء !

الأمير: (بغضب) ماذا تعنى.

الشهاب: (يدور حول الأمير ثم يستل منه سيفه ويتأمله) النقوش فى السيف لا تجعلـه أكـثر مضـاء والذهـب لا يقوده إلى الأعداء دون غيرهم.

الأمير: هذا ثمن الهيبة يا شيخ.

الشهاب: أى هيبة! الصليبيون يُغيرون على القرى. يحرقون الغلال فيجوع الناس. ومع ذلك لا يتوقف العسكرُ عن أخذ ثمن المهابة منهم!

الأمير: العسـكر حـرّاسُ الشريعة يا شيخ. وهم يموتون فى سبيل مجد الإسلام.

الشهاب: بل يموتون دفاعا عن أملاكهم. ولا جهاد بالأجر يا أمير. (الأمير يبدو محرجا بينما يلاحظ الجميع ذلك، ولتأكيد حرج الأمير يتدخل

كل من زين الدين ومجد الدين).

زين الدين: أرجو أنْ يأذن لنا مولاى.

مجد الدين: يكفى ما سمعناه من هذه المستكرهات (يخرجان).

سديد الدين: (للشهاب) يا سيدى. دع الخلق للخالق (خارجا).

الشهاب: كـأنك تقول، دع الخلق لفقه العسكر (يخرج الجميع وهم ينحنون للأمـير- لا يبقى سوى الأمير والشهاب – الأمير يتشاغل برفع الخريطة) ألم أقل لك لن تستطيع معى صبرا!

الأمير: (بشجن) بلِ أصبر إن شاء الله.

الشهاب: (بشكل طقوسى) انتبه يا مسكين. انزعج بقوة وارفض أعداء الله فـيك. اصـعد إلـى آل طاسين، لعلك ترى ربك (يتقدم الأمير من الشـهاب ثم يجثو على ركبتيه أمامه فيضع الشهاب يده على رأس الأمـير) أتسـمع مـنادى الله يناديك وتتصامم. قم من مرقدك. واستشـرق لعل نفحة من الله تتلقاك. فإذا عصمت فأصبر وإذا شرعت فتمم.وإذا طرحت فاصعد.وإذا رأيت فاسجد، فلعل بارئك يناجـيك. (يدخـل مجد الدين وزين الدين وعليهما مظاهر الفزع وكأنهما خارجان من مشاجرة عنيفة. يؤخذان بمنظر الأمير الجاثى أمام الشهاب – يدوران حولهما قليلا بذهول).

زين الدين: مولاى.

مجد الدين: النجدة يا مولاى.

الأمير: (خارجـا من حالته وناهضا) ماذا. ماذا حدث؟ (مشيرا إلى حالتهم المزرية).

زين الدين: خرجنا من القصر. وأردنا أن نركب بغالنا، كالآخرين. ولكن..

الأمير: ولكن ماذا؟

زين الدين: **وجدت البغلة تطول وتطول، ويطلع لها قرون غريبة يا مولاى.**

الأمير: (ضاحكا) **هكذا.**

مجد الدين: **وأنا أيضا.بغلتى أصبحت بثمانية أرجل وسنامين** (الأمير والشهاب يضحكان) **صدقنى يا مولاى.**

الأمير: **وماذا أفعل لكما.**

زين الدين: **نريد أن نعود إلى بيوتنا يا أمير.**

الأمير: (ناظــراً إلـــى الشهاب بنظرة الفاهم لما فعل الشهاب) **افتدوا إذن دوابكم.**

زين الدين: **كيف. كيف يا مولاى؟**

الأمير: **كل واحد يترك جبته ويذهب. فيركب دابته وتطيعه إن شاء الله.**

مجد الدين: (حزينا) **جبتى. إنها أفضل ما عندى.**

الأمير: **هيا. هيا** (يخلعان بأسف جبتيهما فيبدوان مضحكين ثم يهرعان إلى الخـــارج وســط ضــحكات الشــهاب والأمير- الأمير يضع يده مخاصرا الشهاب ويمضيان إلى الخارج ببطء وهما يتحادثان "مايم" يعبر البصّاص المسرح متلفتا وهو يتحدث فى اللاسلكى).

إظلام

٥

الصوتُ
صوتُ يعقوب
واليدُ
يدُ عيسو!

(الأمـــير والشهاب فى مكان خلوى. هناك خيمة فى يسار المسرح وفـــى العمق شاشة السلويت - الأمير والشهاب يتحادثان وبينهما فاكهة - جنديان - خادمة).

الأمير: إنهـــم لا يكفـــون عن طلب دمك. هذا المطر الأسود جعل مملكتى زلقة وصوتى غريباً بين الناس.

الشهاب: (شارداً) إللهم ثبتنا على النور وأيدنا بالنور.

الأمير: أنا معك. لكنى أتساءل. هل الله معنا؟

الشهاب: الله معنا وفينا وحولنا يا أمير.

الأمير: غدا سيكون أمرى وأمرك بين يدىّ السلطان. وهو كما تعرف..

الشهاب: أعرف يا أمير.

الأمير: لماذا لا تطمئننى إذن؟

الشهاب: الذيـــن ينتصرون لا ينتصرون. والذين يملكون الأرض يخسرون الملكوت.

الأمير: أكلمـــك عن الفتنة وأنت تكلمنى عن المُلك والملكوت!! أنا تلميذك ومريدك. ماذا أفعل؟

الشهاب: كلما خرجت من بدنى. وحلقت عالياً رأيت الأرض موشومة كطفح الحصبى. موشومة بالمدن التى يحكمها العسكر.

الأمير: (يهزّه برفق) قل لى. كيف سنفلت من هذه المحنة؟ كيف؟

الشهاب: (مبتسماً) **بالطرب يا أمير.**

الأمير: (مذهولا) **ماذا. بالطرب!**

الشهاب: (بخفة) **نعم. هكذا** (يصفق فتتحرك ستارة من اليسار إلى اليمين ونلاحظ وجود جوارى يحملن آلاتهن وكأنهن مرسومات - يصفق الشهاب مرة أخرى فيبدأن فى الغناء والرقص وكأنهن خرجن لتوهن من الرسم الذى يمثل بهواً فى قصر).

المغنية: **أبداً تحنّ إليكُم الأرواحُ ووصالُكم ريحانُها والرّاحُ**

وقلوبُ أهل ودادِكم تشتاقُكُم وإلى لذيذِ لقائِكم ترتاحُ

(حالة من الطرب والوجد تصيب الجميع)

الشهاب: (خارجاً من حالة الوجد فجأة) **يكفى هذا!** (يصفق فتجمد الجوارى على المنظر ثم يصفق فيتحرك المنظر كله بالجوارى حتى يختفى فتظهر الخيمة ونرى البصاص وكأنه فوجئ فيهرع خارجاً) **سأريك شيئاً آخر يا أمير. انظر** (يخرج من كمه شلة خيط) **هذه شلة خيط. سأربط الخيط فى يدى** (يفعل) **ثم أطيّر الشلة هكذا فى الهواء** (يلقى بها لأعلى فلا تعود!) **فتتعلق بالنير الأعظم.**

الأمير: (مندهشا من عدم سقوط الشلة) **غريب!**

الشهاب: **والآن. سأصعد إلى النور يا أمير.**

الأمير: (مذهولا وهو يتابع صعود الشهاب) **إلى النور!**

الشهاب: **إلى النور يا أمير** (يختفى الشهاب، ويظل الأمير ذاهلاً، ينظر إلى أعلى حيث اختفى).

صوت الشهاب: (بعد لحظات يأتى عميقا مجسما) **عندما شاخ إسحق. وخبا بصره. دعا إليه ابنه البكرعيسو. وقال له: إنى قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى** (نرى على شاشة السلويت فى عمق المسرح).

رفقة: يعقوب. يعقوب.

يعقوب: من؟

رفقة: أنا رفقه. قم يا بنى.

يعقوب: ماذا تريدين يا أمى؟

رفقة: سمعت إسحق يطلب من عيسو أن يصيد له صيداً، ويصنع له طعاما ليباركه قبل أن يموت.

يعقوب: وماذا أفعل يا أمى.

رفقة: ماذا تفعل! اذهب يا بنى إلى الغنم وجئنى بجديين لأعد لك طعاما تحمله إلى أبيك. فيباركك قبل أن يأتى أخوك.

يعقوب: لكن عيسو أخى رجل أشعر يا رفقة. وأنا رجل أملس،وإذا جسّنى الشيخ عرفنى، فأجلب على نفسى اللعنة.

رفقة: لعنتك علىّ يا بنى. اسمع لقولى فقط،وستكون البركةُ لك. (تظلم شاشة السلويت وتسقط فجأة من أعلى المسرح – قدما الشهاب – تحدث حالة من الدهشة والهلع ويتابع الجميع حركة القدمين وهما تتحركان إلى الخيمة ويظهر البصاص الذى يلتقط صوراً لهما قبل أن تختفيا فى الخيمة ثم يهرع خارجا).

صوت الشهاب: أعدّت رفقة طعاماً يحبه إسحق. ثم أخذت ثياب ابنها البكر عيسو، وألبستها ليعقوب وألبست يديه وعنقه من جلد الماعز وقالت ادخل على أبيك (تضاء شاشة السلويت).

اسحق: من. من أنت؟

يعقوب: أنا ابنك عيسو.

اسحق: (باسترابة) عيسو!

يعقوب: نعم.

اسحق: لقد عدت بسرعة.

يعقوب: الرب يسَّر لى.

اسحق: تقدم لأجسك يا بنى. أأنت عيسو! الصوت صوت يعقوب.واليد يد عيسو.اقترب يا بنى. اقترب لأباركك. (تظلم شاشة السلويت وتسقط فجـأة يـدا الشهاب، ويتكررما حدث مع القدمين،وبعد لحظات من الصـمت تـنطلق الموسـيقى وتدخـل إلى المسرح مجموعة من الجـوارى والمغنيات ويحطن بيعقوب الذى يجلس فى سمت ملك مهيـب ثم تدخل رفقة سعيدة تركع على ركبتيها وهى تضع على رأسه إكليلا مضفرا كالتاج).

رفقة: افـرح يا بنى. كما يفرح قلبى. وكما تفرح البريَّة بالمطر. افرح فقـد انتقلـت إلـيك نـبوة أبيك. كن سيدا لأخوتك. ولتسجد لك القبائل.وتمشى الشعوب أسرى بين ساقيك.. مبارك أنت من الرب يـا يعقوب. مبارك أينما حللت. فى كل مكان تطوه بقدميك تنبت الحنطة. وأينما أشرت تدلت الكروم. مباركوك مباركون. ولاعنوك ملعونـون.هكـذا قال ربُّ إسحق؛ فافرح يا بنى كما يفرح قلبى، وكمـا تفـرح الكائنات بالشمس الجديدة. (صوت عيسو يتصاعد صـارخا) لماذا يا أبى؟ هل هذا هو العدل؟ (نلاحظ القلق على كل مـن رفقة ويعقوب وبعد لحظات يندفع عيسو داخلا المسرح رافعا سيفه، ويتوقف الرقص والغناء تهرب رفقة ويعقوب بين الجوارى المذعورات ويندفع عيسو وراءهم صارخا).

عيسو: هل هذا هو العدل؟ (بعد خروج الجميع وبعد لحظات صمت تسقط رأس الشـهاب، فيـثور اللغـط، بينما تسعى الرأس كالمعتاد إلى الخيمة، لكن الأمير المذهول يتابعها حتى تختفى، وهنا ينطلق من

وارْحَمْتَا للعاشـــقين تكلّفوا

سَتر المَحَبَةِ وَالهوَى فضّاحُ

بالسّرّ إن بَاحُوا تباحُ دماؤهم

وكَذَا دِمَاءُ العاشـــقين تباحُ

(يشـــير الأمـــير لأحد الجنود أن يرفع باب الخيمة فيفعل، ونرى الشـــهاب بيـــن الجـــوارى مبتســـما - يخرج ويتقدم من الأمير، ويمضـــيان متخاصـــرين يـــتحدثان (مـــايم) يمضـــى الجمـــيع وراءهما..المسرح خال الآن - يظهر البصّاص ويرفع باب الخيمة التى لا يزال الغناء يصدر منها فلا نرى أحدا).

إظلام

٦

إنهم ينفذون إلى من مأمنى
ويُقوّضون مُلكى
يا قاضى

(خـــيمة ســلطانية – صـــلاح الدين يتهيأ للبس ملابس لعبة كرة الفروسية. الوزير يجلس وأمامه بعض الأوراق وبجواره صندوق خـــيال الظل لكنه يعمل كتليفزيون وسوف نلاحظ أن صلاح الدين يستخدم ريموت كونترول لتسريع أو تثبيت المشاهد – الغلام الذى يُلبِّس السلطان يعانى من ثورته التى تجعله يبعده عنه بخشونة من حين لآخر).

الوزير: (مهدئا) **الأمر بسيط يا مولاى السلطان.**

صلاح الدين: (مستنكرا) **بسيط.كيف؟ كيف يكون بسيطا وقد رأى الناس هذا فى خـــيال الظـــل؟ أنـــت.القاضى الفاضل.الأديب الداهية. ترى الأمر بسيطا؟**

الوزير: **سنشدد على المحتسب. ولن يتكرر ذلك يا مولاى.**

صلاح الدين: **ولمـــاذا يتكرر. انتهى الأمر. لقد رأى الناس سلطانا يبنى ملكه بالدم. يقتل أو يرشو.أغلق الأزهر،ودمر المكتبات ودور الحكمة.. ليكن.لكننى لم أدسّ السم للخليفة. هل فعلت ذلك يا فاضل.**

الوزير: **حاشا لله يامولاى. هو الذى انتحر.الجميع يعرف هذا.**

صلاح الدين: **لكن هذا ما رأته العامة يا وزير** (يتجول مهموما ثم يصفق فيدخل البصاص) **أين الشريط؟ أريد أن أراه** (البصاص يضع الشريط فى مكانـــه من صندوق خيال الظل ثم يخرج منحنيا بظهره) **ما الذى يفكرون فيه؟** (يضغط على زر الريموت فنرى الآتى).

المشهد الأول	خيمة فى صحراء	نهار / خارجى

لقطة متوسطة لفارس يتقدم من عجوز بدوية ثم ينزل على ركبتيه أمامها وفى الخلف نرى الخادم يربط الفرس.. كلوز على وجه البدوية وهى تنظر إليه وكأنها تقرأ أعماقه.

البدوية: أهلا بالأمير.

الأمير: سمعت عنك فجئت، حدثينى عن مصيرى.

صلاح الدين: لا.ليس هذا (يضغط الريموت - قطع - يضغط ليسرّع مرور الشريط) ها. اسمع يا وزير (نرى المشهد التالى).

المشهد الثانى خيمة فى صحراء نهار / خارجى

- كادر خال تدخل فيه يدا المـرأة وهى ترمى الودع وقطـع الأحجـار.. الأمير خارج الكادر.	الأمير : قولى. ولا تكتمى شيئا.
- زوم باك لنرى البدوية والأمير والخادم الذى يقف منحنيا ليرى.	البدوية: أرى مُلكـا واسعا وأرى دماً وأموالا وجواسـيس وسمّا.
- كلـوز على وجه الأمير شـاردا. الـبدوية خـارج الكادر.	الأمير : انظرى جيدا.
- لقطـة قريبة للأمير قلقا وشـبه غاضب. يشير إلى الودع.	
- كلوز على يدى البدوية وهـى تقلـب فـى الودع والأحجـار. البدوية خارج الكادر.	البدوية: أرى مسجدا تنعق فيه الغربان وكتبا تأكلها النار.

صلاح الدين: (يغلق الجهاز بالريموت- قطع) (غاضبا) أرأيت يا فاضل ما الذى يفكـر فيه الناس الآن؟ أنت تعرف.الباطنيّة لا يتركون العامة لما

يرونه.بل يدورون عليهم بالتفسير والتأويل.

الوزير: لقد كسرنا آلته يا مولاى.

صلاح الدين: (ساخراً) كسرتم آلته.

الوزير: وهو الآن فى السجن

صلاح الدين: (مندهشا وغاضبا) فى السجن! أهو حىٌّ بعد!!

الوزير: سيقتل يا مولاى. طبعا. ولكن ليس قبل أن يدلّ على شركائه.

صلاح الدين: (يزيح الغلام الذى كان يحاول أن يضع على رأسه قلنسوة) ثم. ما هذه النبوءة أيضا؟ (يضغط الريموت ويسرع الشريط ليصل إلى المشهد التالى).

المشهد الثالث خيمة فى صحراء نهار / خارجى

– البدوية خارج الكادر.

البدوية: ملكك أكبر منك بعقدتين.

– كلوز على وجه الأمير قلقا.

الأمير : عقدتين!

– زوم باك ليظهر فى الكادر وجه البدوية وعليه تعبير آسف.

البدوية: وهو لإخوتك من بعدك.

الأمير غاضبا.

الأمير : أهذا ما ترين انظرى جيدا؟

- كلوز على الودع والأحجار ويدى البدوية.تدخل فى الكادر يد الأمير تنبش الرمل بقلق ويظهر خاتم ثمين فى إصبعه (البدوية خارج الكادر).

البدوية: من نسلك ملك يحكم سبع سنين يحل فيها ما حرمت ويعيد ما أبطلت ويقع الغلاء بعهده.

- كلوز على وجه الأمير متألما.

الأمير : ابنى. ابنى أنا!

(البدوية خارج الكادر).

البدوية: أما حفيدك فيموت فى السجن بيد أعمامه.

- لقطة متوسطة للأمير ينهض ويترنح مستندا على فرسه. إنه متألم والخادم ينظر إلى البدوية بلوم ظاهر.

الأمير : أى ملك هذا.لا. ليس هذا مجداً.

قطع

صلاح الدين: (يغلق الجهاز بعصبية).

الوزير: أطال الله عمر السلطان. هذا رجم بالغيب.

صلاح الدين: (شـــاردا) رجم بالغيب أم الغيب؟ مملكتى تعمّر أكثر منى بعشرين عامـــا. مـــا معنى هذا؟ إننى فى السبعين الآن يا فاضل. أهلكتنى الحـــروب. قضـــيت عمرى كله على سرج حصان. وها أنا. شيخ متعب. لم يعد أمامى شىء، فكم ستمكث هذه المملكة يا فاضل؟

الوزير: مولاى.

صلاح الدين: (مقاطعا) أو قل. كم سأعيش؟

الوزير: أطال الله عمر مولانا. هذا تدبير شرير.

صلاح الدين: ثـــم. ثم كيف يكون المُلك لإخوتى وليس من نسلى (غاضبا) هل هـــذا عـــدل؟ يـــنقرض اسمى وملكى هكذا.بعد سبع سنوات فقط يتسلطن فيها ابن من أبنائى ويعيد فيها كل ما أبطلت! لقد أبطلت المكوس فهل يعيدها.

الوزير: هذه دسيسة يا مولاى.

صلاح الدين: (مســـتمرا) أطلقـــت والـــى الحســـبة فى البلاد يتعقب المجرمين والمتفلســـفين. أغلقـــت دور الـــبغاء. والحانات. هدمت مصانع الحشيش. هل يعيد كل هذا ابنى؟ ابن صلاح الدين!.أنا الذى أحفظ ديـــوان الحماسة يا فاضل.أنا الذى ناظرت الفرنجة من أجل مجد الإسلام! أى ابن هذا.أى ابن!

الوزير: مـــولاى إنهم لا يريدون أكثر من أن تمتلئ بهذه الوساوس فتفقد الصواب.

صلاح الدين: أى صواب. هل الصواب أن يوافق الفقهاء هذا الابن الضال. أكنا

نعيد مجد السلف الصالح،ونضرب على أيدى أصحاب البدع ليبارك الفقهاء ما يفعل هذا الابن حتى يموت لاهيا، والغلاء واقع بمصر.هل من الصواب أن يموت حفيدى فى السجن؟ أنا. صلاح الدين. يغصبون ملكه ويقتلونه. إخوتى! هل هذا هو العدل؟

الوزير: (مهدئا) مولاى.مولاى (تسمع صيحات اللعب وحماس الجمهور- يدخل أمير فى زى اللعب).

الأمير: بدأ اللعب يا مولاى. و. الأمراء فى انتظار تشريفكم.

صلاح الدين: (منتبها ومتذكرا) الكرة. نعم. كدت أنسى والله.عكّر علىّ هؤلاء السفلة. اذهب أنت (يخرج ويجد الغلام أن هذه إشارة طيبة ليستكمل تلبيس السلطان) رحم الله السلطان الشهيد.نور الدين زنكى.كان إذا اشتد به الهم واختلطت عليه الأمور.يقول هيا إلى الكرة يا صلاح الدين. (مفاجئا الوزير) هل جربت ذلك يا قاضى؟

الوزير: (سعيدا بخروج السلطان من أحزانه) أنا! أنا يا مولاى. إنها لعبة الفرسان، وأنا. كما ترى (مشيرا إلى بدانته) غاية ما أستطيع هو اللعب بالكلام. (يضحكان ويضع صلاح الدين. ذراعه على كتفى الوزير ويتقدم به إلى نافذة تطل على اللعب - نسمع صيحات الاستحسان والجلبة - ثم يدخل أمير ومعه حافظة الرسائل السلطانية).

الأمير: مولانا السلطان. رسائل من حلب يا مولاى.

صلاح الدين: (ملتفتا بفرح) من الظاهر؟

الأمير: كلا يا مولاى. بل من القاضيين مجد الدين وزين الدين، ابنى حميد ابن جهيل.

صلاح الدين: (غير متذكر) ومن هؤلاء؟ (يأخذ الوزير الرسالة من الأمير

ويصرفه) ماذا يقولان يا وزير؟

الوزير: (يفـض الرسالة ويقرأ) يقولان. يقولان إنه ظهر بحلب رجل من فـارس اسمه شهاب الدين السهروردى. باطنى يشتغل بالفلسفة والمنطق ويقول بالتأويل والولاية.

صلاح الدين: (متكدرا) استغفر الله العظيم.

الوزير: وأن مولانـا الظاهـر قد أصبح مأسورا له. لا يفارقه ليلا ولا نهارا و أنه..

صلاح الدين: انتظر. أتقول إن الظاهر أصبح مأسورا له؟

الوزير: نعـم. و أنه يتعاطى معه الحجج ومنطق أرسطو. ولا يسلم الأمر مـن إفسـاد عقل الظاهر إذا استمر هذا المشعوذ معه يغيّر من أفكاره ويشوش عليه.

صلاح الدين: (غاضبا) أرأيت؟ (الغلام يحاول وضع القلنسوة على رأس السلطان فيطـيح بها مما يرعب الغلام) أرأيت يا فاضل؟ إنهم ينفذون إلى مـن مأمنى.إنهم يقوضون ملكى يا قاضى. انتظر. أيكون هذا هو الابـن الضـال؟ أيكون هو! (بحسم) اكتب.اكتب إلى ابننا الظاهر غـازى بنفى هذا الشهاب من حلب. من الشام كلها. فلا يبقى فى أرض السنة المطهرة واحد من الفلاسفة والزنادقة. اكتب. اكتب يا فاضل.

(يضرب القلنسوة بالجوكان ويخرج غاضبا بينما يظل الوزيريمعن النظر فى الرسالة. يدخل البصّاص ويحاول أن يخرج الشريط من صندوق خيال الظل لكن الوزير يصرفه ثم يبدأ فى تشغيل الشريط ويسرّع بينما يخفت الضوء بالتدريج).

إظلام

٧

الجمالُ مؤلمٌ فهو حجاب
واللذَّةُ عارضة
فهى حجاب

(الأمـــير وجارية فى مقدمة المسرح. فى حالة مريبة. إنها ترقص وتتحرش به ثم ُيسمع صوت الشهاب وهو يملى على تلميذه شمس. إنهمـــا يجلســـان فـــى مكان مرتفع فى عمق المسرح ومع ازدياد انجذاب الأمير إلى الشهاب تزداد خشونته معها ويبدأ الصعود إلى الشـــهاب كالمســـحور بيـــنما تخرج الجارية بعد محاولات لإعاقة صعوده).

صوت الشهاب: **وفـــى الجملـــة فإن الحكيم المتأله. هو الذى يصير بدنه كقميص يخلعـــه تارةً ويلبسه أخرى. ولا ُيعدُّ فى الحكماء ما لم يطّلع على الخمـــيرة المقدسة. فإن شاء عرج إلى النور، وإن شاء ظهر فى أى صورة أراد.**

صوت شمس: **ومن أين له هذه القدرة يا مولاى؟**

صوت الشهاب: **أما القدرة فإنها تحصل له بالنور الشارق عليه. ألم تر أن الحديدة إذا أثّرت فيها النار تتشبّه بالنار فتضىء وتحرق؟**

صوت شمس: **نعم. إنها تحرق وتضىء**

صوت الشهاب: **كذلـــك الـــنفس يـــا بنى. إذا انفعلت بالنور الإلهى أثّرتْ وفعلتْ. وأصبح بإمكانها أن تومئ فيحصل الشىء بإيمائها وتتصوّر فيقع علـــى حســـب تصورها** (الأمير يصل الآن - يدور حول الشهاب وشـــمس بـــبطء.ثـــم يشـــير إلى شمس فيخرج ويجلس آخذًا هيئة المريد).

الشهاب: فإذا تجرّدنا من الملذات الجسمية تجلّى علينا النور الإلهى، فأدركنا الحقائق والمعارف، وانكشف لنا الغيب فى اليقظة والمنام.

الأمير: (مندهشا) الغيب. أتقول الغيب؟

الشهاب: نعم. فالذى للناس غيب، هو للعارف عين.

الأمير: ولكن. ألا أموت و أفنى إذا مات جسدى هذا.

الشهاب: (ضاحكا) لو أننى قطعت إصبعك يا أمير. هل تصبح شخصا آخر؟

الأمير: (مندهشا) كلا.

الشهاب: فإذا قطعت ذراعك كله؟

الأمير: كلا.

الشهاب: فإذا زدت. هل تصبح شخصاً آخر؟

الأمير: كلا. كلا.

الشهاب: لاشىء يضيع يا أمير. فإذا تهيّأت بالحكمة والصوم رأيت حيواتك كلها شاخصة أمامك.

الأمير: (مندهشا) حيواتى. أنا!

الشهاب: هناك من الحكماء من يذكر حيواته السابقة.كل حسب مجاهدته.فمنهم من يذكر عشرين حياة منها. بما فى ذلك حيوات كان فيها شجرة أو صقرا أو فرساً.

الأمير: (بأسى) لكنه يقهرنى.هذا الجسد يقهرنى يا شيخ.

الشهاب: لأن النور الذى فيك لم يدرك بعد أنه نور.قالوا إن نمرة ماتت وهى تضع نمرها الوليد.ومن حسن الطالع أن الماعز تبنت الصغير علمته كيف يثغو ويلتهم العشب بأنيابه القاطعة. ومرّ

الوقــت وحسب النمر أنه كباقى القطيع. وذات يوم هاجم القطيع نمر كبير فهربت الماعز وبقى النمر الصغير يلتهم العشب ويثغو. صــرخ فــيه الكبير: لماذا تلتهم العشب وتثغو كالماعز.ولم يجد الصــغير جوابــا.فاستبد الغضب بالنمر الكبير وحمله إلى بحيرة وصرخ به: انظر إلى نفسك. أذلك وجه نمر أم وجه ماعز؟ ومرّة أخــرى لــم يعرف الصغير الجواب.وهكذا حمله إلى كهفه ودفع بقطعــة من اللحم بين فكيه فلما تقاطرت السوائل إلى معدة النمر الصــغير أحس بقوة جديدة وعنفوان جديد. فهزّ ذيله بقوة وزأر كما يليق به، فقد تحقق من أنه نمر وأدرك طبيعته الحقّة التى لا ،علاقة لها بعالم الماعز.

الأمير: فهمت يا شيخى. فهمت. لكننى أضعف. متى أخلع بدنى وألبسه؟ متى أتجرد؟ متى أصبح مثلك؟ إننى أهتزّ للجمال يا شيخى.

الشهاب: الجَمالُ حجابٌ.

الأمير: وتخطفنى اللذة.

الشهاب: اللذة حجابٌ.

الأمير: ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

الشهاب: دواؤك فى الموت الأبيض.

الأمير: (مندهشا) الموت الأبيض!

الشهاب: نعــم.إنــه قهــرُ الجسد بالصيام والقيام.. وبه ينجاب حجاب بعد حجاب.

الأمير: (يــتجول قلقا) عندما أخلو إلى نفسى تنتابنى الهواجس.أفكر فيما فعله أبى. هل كان على حق!

الشهاب: هدم دولة وأقام دولة يا أمير.

الأمير: نعم ولكن. أى الدولتين حق.

الشهاب: قــالوا إن أحــد الآباء.ترك لأبنائه الثلاثة.. ثلاثة خواتم متشابهة

ولـــم يعلـــن عن الأصلى بينها. فاعتقد كل ابن من أبنائه أنه هو الذى يمتلك الخاتم الأصلى.

الأمير: (متحيرا) فمن الذى معه الحق؟

الشهاب: الذى معه الخاتم الأصلى.

الأمير: لكن أحدًا لا يعرف!

الشهاب: الأب السّماوى يعرف يا أمير. الذى أعطى الخواتم يعرفه.

الأمير: ذكرت خاتمين فما الثالث، ومن صاحبه؟

الشهاب: أنا الخاتم.

الأمير: أنت يا مولاى!

الشهاب: نعم. لكن المكافيف لا تعرف فضل الضوء.

الأمير: أشرق علىّ يا مولاى.

الشهاب: (بحزم آمر) استقبل فلك البروج (مشيرا إلى النجوم، ويمثل الأمير كـــل مــا يؤمر به) وارفع يديك بالتكبير كما يرفعها من خاف أن يضرب بالسيف، ثم أتلُ ما أنزل إليك على مقدار طاقتك فى القيام، الــتقم براحتيك ركبتيك. وابسط ظهرك حتى يمتد عنقك وتكون فى هيئة من دعى إلى ضرب عنقه. وقدّسْ الله راضياً بما قضاه. ثـــم خرْ ساجدا فحمّد تحميدَ الأسير، وسله حسن عونه لفضائلك عن رذائلك. وحسنك على قبيحك ما استطعت.

(يظهـــر البصاص ويتأمل المشهد متعجبا – يلتقط صورة فيتجمد المشهد ثم يخرج. تدخل الجارية وتأخذ فى الرقص بينما يتصاعد صوت الشهاب مع تزايد خفوت الإضاءة).

يـــا فاطر الأشباح، وباعث الأرواح. يا نهاية آمال الراغبين وقوة ألباب المحبين.ارحم من جنح عن عدلك إلى فضلك. وزاد رجاؤه لعفوك، على خوفه من سخطك. وتيقن أن لا مهرب منك إلا إليك.

إظلام

٨

لا يكون المُريدُ مريداً حتى يجد فى القرآن ما يريد

(محـــراب مسجد يجلس فى حنيته افتخار الدين وعن يمينه وشماله عـــدد من الفقهاء بينهم مجد الدين وزين الدين – هناك منبر يمكن اســـتخدامه من قبل الممثلين أثناء المناظرة – الشهاب وحده يلبس عـــباءة بيضاء بينما يلبس الجميع عباءات سوداء. من حين لآخر نسمع جلبة المحيطين بالمسجد أثناء المحاكمة ومن حين لآخر نرى البصّاص يطلُّ خفْيةً ويستخدم جهاز اللاسلكى أو يلتقط صورة)

افتخار الدين: **يا شهاب. سؤال واحد قبل أن يبدأ الفقهاء فى مناظرتك.**

الشهاب: **سَلْ يا شيخ.**

افتخار الدين: **أنـــت فيلســـوف** (نلاحـــظ تململـــل مجد الدين وزين الدين وعدم رضائهما) **ولك فيما نَعلمُ فلسفة خاصة. تسميها فلسفة الإشراق.**

الشهاب: **نعم.**

افتخار الدين: **فما الذى جعلك تترك الفلسفة إلى التصوف يا شيخ؟**

الشهاب: **المرآةُ التى عليها غيومٌ. هل تنقل الصورَ بشكلٍ صحيح؟**

افتخار الدين: **لا.**

الشهاب: **فالـــنفس كالمرآة يا شيخ. لابد أن تجلوها بالحكمة والفلسفة حتى ترتسم عليها الحقائقُ الإلهية دون تحريفٍ أو تشويه.**

افتخار الدين: **أنت تجمع إذن بين البرهان والعرفان؟**

الشهاب: **نعم. أجمع بين العقل والقلب. و أؤسس العرفان على البرهان.**

افتخار الدين: والآن (مشيرا إلى مجد الدين) أنت والشهاب يا مجد الدين. فسله ما شئت.

مجد الدين: (يدور حول الشهاب ويطلع وينزل درجات المنبر) تعرف يا شهاب الدين. أن التأويل بدأ مع الجعد بن درهم الزنديق.

الشهاب: لم يكن الجعدُ زنديقاً.

مجد الدين: (بغضب) قال بخلق القرآن. فخرج عن الطاعة وشق الجماعة.

الشهاب: المستغنى عن الصفات أتمُّ من المفتقر إليها يا شيخ (منتبها ومواجها الجميع) ثم لماذا تذكروننى بالجعد؟ هل تطلبون دمى؟

افتخار الدين: اهدأ يا شيخ. إننا نطلب الحقيقة.

الشهاب: لم يكن الجعد زنديقا. كان مؤدِّبا للخليفة مروان بن محمد.

مجد الدين: نعرف القصة يا شيخ.

الشهاب: لا. لا أحد يذكر الدم. اتَّهمه الفقهاء (مشيرا إليهم) ثم أغروا به هشام بن عبد الملك.

افتخار الدين: انتظر يا شيخ.

الشهاب: (مستمرا بحدة) فكتب إلى وَالِى الكوفة بقتله.

مجد الدين: (مقاطعا) نعرف. نعرف يا شهاب الدين.

الشهاب: غيركم لا يعرف. والعارف منكم لا يتكلم. انظروا. هذا هو الجعد (يشير إلى الحائط فنرى هذه المشاهد باستخدام تقنية السينما. ولابد من أن يبدو الأمر وكأنه كرامة من كرامات الشهاب – يلاحظ تململ الفقهاء وتصاعد الجلبة خارج المسجد)

المشهد الأول سجن القلعة فجر / داخلى

- كلوز على وجه الجعد. إنه رجل فى نهاية العقد الخامس، طالت لحيته واتسخت ثيابه، لكنه سمح وله بهاء وحضور - إنه يترقب.

- صوت أقدام حرس ثقيلة تبدأ خافتة وتتزايد بالتدريج.

تثبت الصورة

زين الدين: (منتفضا من بين الفقهاء) ما هذا يا شهاب الدين؟

الشهاب: أريكم ما لم تروه.

زين الدين: وما حاجتُنَا إلى ذلك.

الشهاب: حاجةُ العقل يا زين الدين. أليس هذا أفضل من تناقل الأخبار ميتًا عن ميت؟

مجد الدين: (من فوق المنبر) كفى يا شهاب الدين. كفى.

الشهاب: أتخافون من الدم يا فقهاء؟ أتفتون بالقتل ثم تخافون؟ هذا هو الجعد اسألوه.

المشهد الثانى على باب المسجد نهار/ خارجى

- لقطة قريبة للجعد مواجها الكاميرا، أثناء حديثه يحرك يديه فتظهر السلاسل

- أردت أن أنزّه الله مما ألصق به من صفات فقلت ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخذ الله إبراهيم خليلا. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا

قطع

مجد الدين: (غاضبا) أنكر الجعد صفات الله. أما نحن فنقول إن لله صفاتٌ لا هى هو.

الفقهاء: (معا مثل كورس) ولا هى غيره.

لا تتصل به أو تنفصل عنه.

لا تشبهه أو لا تشبهه.

الشهاب: من أجل كلامكم هذا. أوثقوه فى المنبر. وصلوا صلاة العيد ثم صعد والى الكوفة وخطب فقال:

مجد الدين: انتظر يا شيخ.

صوت الوالى: انصرفوا وضحوا بضحاياكم. تقبل الله منا ومنكم. فإنى أريد اليوم أن أضحى بالجعد بن درهم.

الشهاب: ثم نزل وحز رأسه فى أصل المنبر.

المشهد الثالث | داخل المسجد | نهار/ داخلى

- كلوز على المحراب.
يمكننا قراءة الآية الكريمة "ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق" وفجأة نجد بقعة من الدم تلوث جزءا من المحراب وتسيل لتخفى جزءا من الآية.
زوم أوت لنرى الوالى وهو يمسح خنجره من الدم وينظر إلى الكاميرا بكراهية.

تهليلات وتكبيرات العيد

يثبت هذا الكادر حتى آخر المشهد

الشهاب: (مبددا وجوم الفقهاء) هذا ما حدث يا فقهاء. الجعد استخدم العقل. وعندما تعارض التنزيه مع النص. جعل التأويل مقابلاً للتفسير. والتوفيق مقابلاً للتوقيف. والدراية مقابل الرواية. ففتح بدمه الطريق.

زين الدين: (ساخرا) أى طريق؟

الشهاب: طريق الحقيقة يا زين الدين (يبدأ فى ارتقاء المنبر).

مجد الدين: (بغضب) الحقيقة! أهى ما تنقلونه عن الصابئة والفرس، أهى ما تدسُّونه من أباطيل الفلسفة على الدين. أهذه هى الحقيقة؟ ما للدين وهذه الهرطقات يا شيخ؟ (يظهر البصاص ويلتقط صورة ثم يختفى).

زين الدين: تقولون إن للقرآن ظاهراً وباطناً؟

الشهاب: نعم.

زين الدين: وتقولون الشريعة ظاهرُالقرآن والحقيقة باطنهُ؟

الشهاب: نعم.

مجد الدين: (مباغتا) فأيهما مُرادُ الله يا شيخ؟

الشهاب: مراده النص. ظاهره وباطنه. فالشريعة مقصودُه والحقيقة مقصودُه. وكل منهما يكمل الآخر كالإسلام والإيمان.

مجد الدين: كيف؟

الشهاب: الشريعة يا شيخ تَنْزِيلٌ من الله على أنبيائه. والحقيقةُ تنزيلٌ من الله على قلوب أوليائه من العارفين.

زين الدين: نحن نتأول كما تتأولون. (موضحا) إذا ما وجدنا قرينة تمنع الأخذ بظاهر النّص. أما أنتم فتشطحون يا شيخ.

مجد الدين: وتتأولون على الله ما لم يقله.

الشهاب: (بغضب) بل أنتم الذين تفهمون من كلامه ما لم يقصده ثم توحدون بين فهمكم القاصر ومراده.

(الفقهاء معا مثل كورس)

الفقهاء: نحن حرَّاسُ الشريعة.

الشهاب: الشريعة قائمة يا فقهاء. وهى محروسة بالفهم لا بالسيف. وباقيةٌ بالتأويل لا التفسير.

زين الدين: هذا شطح يا شيخ (مرتبكا وغاضبا) هذا مروق.

مجد الدين: هذه هرطقة (تسمع جلبة الذين خارج المسجد).

زين الدين: أنت زنديق.

الفقهاء: زنديق. زنديق (ترتفع الجلبة فى الخارج مع هرج الفقهاء. ينزل الشهاب درجات المنبر درجة درجة بالتزامن مع تخافت الضوء ثم يتجمد المشهد مع صوت الكاتب).

الكاتب: انتظروا (يصعد الكاتب إلى المسرح يظل المشهد متجمداً بينما يكمل الشهاب نزول المنبر ويقترب من الكاتب الذى يأخذ بيده ويتقدم به من الجمهور).

الشهاب: اعلموا أن كل قراءة كتابة. وكل كتابة قراءة. اللغة منزل الوجود والكتابة نوعان:

الكاتب: تمثل.

الشهاب: أو رفض.

الكاتب: شرح.

الشهاب: أو تأليف.

الكاتب: نقل.

الشهاب: أو إبداع.

(أثـــناء ذلك يظهر البصاص الذى يبدى دهشته ويلتقط بعض الصور)

الكاتب: ظاهر.

الشهاب: أو باطن.

الكاتب: محكم.

الشهاب: أو متشابه.

الكاتب: عام.

الشهاب: أو خاص.

الكاتب: (مستديرا ليواجه الفقهاء)

الكتابة نوعان يا فقهاء. كتابة بالقلم.

الشهاب: **وكتابة بالدم.**

(يـــتجمد السهروردى شامخا تحت صورة الوالى – قاتل الجعد – بينما تخفت الإضاءة بالتدريج، ومع خفوتها حد الظلام يبدأ الفقهاء فـــى التحرك كالغربان ويأخذون فى تدافعهم للخروج بالكاتب وهم يصيحون:

زنديق. زنديق

إظلام

٩

إن بَقِيَ أفْسَدَ المَلِك
وإن أطْلقَ
أفْسَدَ البلاد

(نفس المشهد السابق. السهروردى يقف شامخاً وتبدأ الإضاءة فى الـــتزايد تدريجــيا بينما يدخل الفقهاء المسرح. ومع تمام الإضاءة يكونون قد أخذوا أماكنهم حول افتخار الدين الذى يجلس فى حنية المحراب).

مجد الدين: (أعلى المنبر) **أنت تقول: إن الحقائق التى تجدها فى قلبك تنيرُ لك النّص فترى فيه ما لا نرى.**

الشهاب: **نعم.** (نلاحظ دخول شمس، وسعيه إلى الاقتراب من أستاذه).

زين الدين: (مـــندفعا من بين الفقهاء) **وقلت: إن الشريعة ليست الواسطة بين الله والعالم.**

الشهاب: (بحســـم قـــاطع) **بل واسطة يا شيخ. لكنها ليست الوحيدة. هناك وسائطُ أخرى يا فقهاء.**

شمس الدين: (هامساً برجاء) **اكتمْ سرَّك يا مولاى.**

الشهاب: (بقـــوة) **لا يـــا شـــمس. لن أكتم ما عندى. الوردةُ إن نضجتْ لا تستطيعُ حبس عطرها وإن قصدتْ.** (مواجهاً الفقهاء) **والجوهر إذا خطـــف الأبصـــار. لا يعود حجراً يا فقهاء.** (بأسى) **لماذا تردفون التفكـــير بالتكفير؟ لماذا يتفصَّدُ الدم كلما التجأنا إلى العقل؟ لماذا أصبح تاريخ النظر تاريخاً من الدم؟ ما الذى تخافونه يا فقهاء؟**

مجد الدين: (وهو يهبط درجات المنبر مقطّعا كلماته ساخرا).

تقــول: إن العــالم ما خلا قط من الحكمة. ومن شخص قائم بها عنده الحجج والبيّنات.

الشهاب: نعم.

مجد الدين: (يدور حول الشهاب ثم مباغتا) فمن يكون؟ أهو الإمام؟

الشهاب: هو الحكيم الذى تشرق عليه المعارف من الله.

زين الدين: (يــدور هــو الآخــر حــول الشهاب) فما كلامك عن الاستيلاء والخمود؟

الشهاب: قلت: إذا كان الحكيم قائماً على الأمور كان الزمان نوريًّا وإذا كان خامداً كان الزمان ظلا ميًّا.

مجد الدين: أليس هذا كلام الشيعة يا شهاب الدين؟ كلامهم عن الإمام الظاهر والإمام المستور؟

زين الدين: (مباغتا) فما رأيك فى هذا الزمان؟ أهو نورى أم ظلامى؟

الشهاب: (باندفاع) إنه زمنُ الظلام يا شيوخ. شرٌّ القرون. حيث ينطوى فيه بســاطُ الاجــتهاد. وينحســم بــاب المكاشــفات، وينسدّ طريق المشاهدات.

زين الدين: (ساخرا) ألست فيه يا شيخ؟

مجد الدين: أم لأنك لست مستولياً؟ (ضاحكا)

شمس الدين: (برجاء وهمس) اكتم سرك يا شيخ. لا تفضح قلبك.

الشهاب: (بقوة) كلا يا شمس. لن أحبس نور الله عن الناس (افتخار الدين يشــير فيدخل حارسان يجران شمس إلى الخارج بينما يصيح: لا تفضح قلبك. لا تدخل هذا الشرّك الملعون).

زين الدين: (من فوق المنبر) فما الفرق بين النبى والإمام يا شهاب.

الشهاب: كلاهمـــا يتلقى عن الله. بلا واسطة يا فقهاء. هذا يتلقى الشريعة. وهذا يتلقى الحقيقة.

زين الدين: وإذن. فالإمام موجود فى كل زمان.

الشهاب: نعم.

مجد الدين: وله الحقُّ فى التأويل والتعديل حسب مقتضى الأمور.

الشهاب: نعم. لأنه خليفةُ الله.

زين الدين: قلت: إن النبوة ممكنةٌ.

الشهاب: نعم (هرج ولغط بين الفقهاء).

مجد الدين: لكنك تعلم أن محمدًا خاتم المرسلين. فكيف يخلق الله نبيًّا بعده؟

الشهاب: أليس هو القادر. إذا أراد شيئاً لا يمتنع عليه.

مجد الدين: بلى.

الشهاب: فالله قادر على كل شىء.

زين الدين: (الـــذى نـــزل ويـــدور حـــول الشهاب) إلا على خلق نبى. فإنه مستحيل.

الشهاب: القـــول بالاســـتحالة يُلحِقُ النقص بالقدرة الإلهية يا فقهاء. وإذن ففـــى قدرة الله إمكانُ خلق نبى جديد. لكنه إمكانٌ بالقوة، وليس إمكانا بالفعل.

زين الدين: أنت تدلّس علينا بالمنطق.

مجد الدين: كفرت.

زين الدين: زنديق. (مهيّجاً الفقهاء) زنديق.

الفقهاء: (فـــى تتابع محموم) زنديق. زنديق (افتخار الدين يطرق بشاكوش

- كما فى المحاكم - فيحدثُ صوتاً هائلاً يتجمد على إثره المشهد - يدخــل البصاص ويلتقط صوراً - يشير افتخار الدين فيتحرك حارســان ويمســكان بالشــهاب، ويخــرجان به من بين الفقهاء المتجمدين على مشهد محاولة الفتك به بينما يصيح الشهاب بجلال)

الشهاب: **الوحى مستمرٌ. والنبوّةُ ممكنةٌ**

(فور خروج الشهاب يتحرك المشهد من جديد)

مجد الدين: **اكتبوا بكفره للسلطان.**

الفقهاء: (معا) **نعم. فإنه إن بقى أفسد الملك وإن أطلق أفسد البلاد.**

افتخار الدين: **اكتبوا. واشهدوا.**

(مــع تخافت الإضاءة حد الظلام نرى الفقهاء يوقعون واحداً بعد الآخــر ويخــرجون - نسمع نهجان نوران - ثم نرى بقعة ضوء على الكاتب والمخرج يجلسان إلى طاولة أسفل خشبة المسرح)

الكاتب: **انتهى الفقهاء من كتابة محضر بتكفير الشهاب. وقّعُوه وأرسلوه إلــى السلطان. لكن مجد الدين ظل فى المسجد. ظل بعد أن أخذوا الشهاب. ظل بعد أن تفرّق الفقهاء. ظل وحده غاضباً يفكر** (إضاء المسرح لنرى مجد الدين يتحرك بقلق ثم يصرخ فجأة)

مجد الدين: **الــنار. الــنار. نعــم. لا شىء سوى النار يا شهاب الدين. النار وحدهــا ســتطهر حلب. ستطهر الشام كله. وتطبب القلوب التى أفســدتها. النار. النار. كتبك للنار. أفكارك للنار. كلُّكَ فى النار يا شهاب.**

(يرتقى المنبر ويواجه الجمهور)

والله. لــو أن الأمر بيدى لذبحته هنا. على المنبر. كما فعلوا مع

ابن درهم. اعلموا. وفقكم الله. أن هذا الفارسى. زنديق كافر. وقد ناظرناه فما وجدناه على شىء. (تسمع ضجة خارج المسجد وتلين ملامح مجد الدين)

صوت: كافر.

صوت: زنديق.

صوت: مزقوا هذه الكتب.

صوت: إلى النار. إلى النار.

صوت: احرقوا كل شىء (نلاحظ انعكاس أضواء النار داخل المسجد)

مجد الدين: (شارداً وهو ينزل المنبر) هذا المأفون. كيف سحر عقول الأمراء؟! سحر عماد الدين بن أرسلان. وها قد سحرالظاهر. ما الذى يجعلهم ضعافاً هكذا أمامه؟! لسانه اللاذع وهيئته الذريّة أم هلوسته بالنور؟ (تسمع ضجة الخارج)

(يدخل بعض التلاميذ مغبّرين مشعثين)

تلميذ ٣: انظر يا سيدى (يقرأ ولكننا نسمع صوت الشهاب)

صوت الشهاب: إن حاكمية البشر يمكن مقاومتها واستبدالها بأخرى أكثر حرية وعدلاً. أما حاكمية الفقهاء فإنها توسم الخارجين عليها بالكفر والزندقة مما يسلبهم أيَّةَ قدرة على التغيير والتعديل. لأنهم لن يكونوا فى معركة بين بشر وبشر، بل معركة بينهم وبين الله.

مجد الدين: (غاضبا) هراء. هراء.

تلميذ ٣: هل أحرقه يا سيدى.

مجد الدين: (متفكرا) لا. لا. انتظر. سنرسل هذا إلى السلطان. نعم ليدرك أىّ خطر كان هذا الملعون (يلوح مجد الدين بالأوراق مواجها

الجمهـور) نحـن حـرّاس الشـريعة. ما حاجة المؤمن إلى هذا التخلـيط. لمـاذا يشوّشون على الناس عقولهم. ويخلبونهم بهذه البدع والمستكرهات.

(نسـمع نهجـان نـوران بينما يتقدم مجد الدين ويجلس فى حنية المحـراب، ويتقاطر التلاميذ جالسين حوله فى نصف دائرة آخذين هيـئة الـدرس ويلاحـظ انعكاس أضواء النار داخل المسجد مع الإضاءة حتى نراهم أشباحا فى ضوء النار الخارجى)

إظلام

١٠

لن يكون ملكاً حتى يخنق الشهاب بيديه!

(خيمة سلطانية – صلاح الدين مع القاضى ابن درباس. غلام يقف للخدمة يقدم من حين لآخر الفاكهة و الشراب أو يكبّس ساق السلطان ويتولى تشغيل البروجكتور)

ابن درباس: (ضاحكا) ثم بات الرجل فى البستان الذى اشتراه. فلما أصبح وجد نفسه نائماً فى خرابة!

صلاح الدين: (متعجبا وسعيدا) جنون. هذا جنون.

ابن درباس: معلوم. فلما شاع أمره وبلغ السلطان، أمر بالقبض على هذا الساحر المغربى. لكنه اختفى. ولم يجده أحد!!

(يدخل القاضى الفاضل وهما يضحكان بشدة)

الوزير: السلام على مولانا السلطان. وعلى قاضى قضاته الشريف.

صلاح الدين: تعال يا وزير. فاتتك هذه النادرة.

الوزير: عظم الله أجر ابن درباس. فقد أضحك السلطان.

ابن درباس: من الهموم ما يضحك يا فاضل.

صلاح الدين: (لابن درباس) هل قرأت محضر الفقهاء فلتقرأه علينا يا فاضل.

الوزير: أمرمولاى. (يشير للغلام ليأتى بها فيخرج)

صلاح الدين: (لابن درباس) فتنة أخرى يا قاضى. هذه المرة تكاد تطيح بالظاهر.

ابن درباس: أدام الله الأمير. السهروردى مرة أخرى؟

صـــلاح الدين: (غاضبا) يقولون إنه مجنون بالشهاب هذا. يعظّمه ويؤثره على كل الفقهاء. هل جنّده هذا المأفون. جائز. فهؤلاء الإسماعيلية لا حدّ لأفاعيلهم.

ابن درباس: رحم الله الأمير" سنقر" اغتالوه وهو يصلى.

صلاح الدين: وأنا. ألم يحاولوا اغتيالى؟ والله لولا أنهم تعهدوا بإطلاق يدى فى محاربـــة الصليبيين. وتعهد زعيمهم "سنان" بإمساك رجاله عنى لحطّمتُ قلاعهم فى وادى الجن، وأفنيتهم جميعاً.

(يدخل الغلام ويعطى الرسالة للوزير)

اقرأ يا فاضل.

(لابـــن دربـــاس) كنــت قــد أمرت ابنى بنفى هذا الشهاب. لكنه استمهلنى حتى يناظره فقهاء حلب. وهذا. محضر بما جرى بينهم وبينه. اقرأ.

(ثم ملتفتا مرة أخرى لابن درباس بغضب)

كـــل شـــىء بدأ من هنا. من القاهرة. من دور الحكمة التى بناها الفاطميون. وعلّموا فيها أتباعهم.

(بغضب) أين الصور؟ الصور؟

(يهرع الغلام إلى الخارج ويعود مصطحبا البصاص الذى يحمل الصور ويطل بفضول – يقترب البصاص وينحنى للسلطان)

ضـــعها فـــى الجهاز يا ولد. (يفعل و يترقب بينما يشير السلطان للوزير أن يبدأ)

الوزير: (يقـــرأ) الســـلام على مولانا المظفر سلطان الدنيا، وحامى الملّة، الناصر..

صلاح الدين: (بحسم غاضب) دعك من هذا يا فاضل.

الوزير: أمـــا بعـــد. فـــإن الكافر الملقب بالشهاب السهروردى. يقول إن العارفيـــن. من أمثاله. بعد مكابدة البحث فى الحكمة والمجاهدة بالصـــيام و القـــيام. يشـــاهدون الله فى قلوبهم ويُظهر لهم من الحقائق ما لا يُظهره لأحد من العالمين.

صلاح الدين: (لابن درباس) هل سمعت؟

(يشير للبصاص فيعرض صورة للشهاب أثناء المحاكمة يبدو فيها نافذاً)

الوزير: ومقصـــوده أن الأولـــياء كالأنبياء. يتلقون الوحى والحقائق من الله. ومثلهم أيضا فى اجتراح الخوارق. فإذا كان الأنبياء مؤيدين بالمعجزات. فهم مؤيدون بالكرامات!!

ابن درباس: حاشا لله.

صلاح الدين: (ســـاخرا ولكن بغضب) انظر. هذا هو الإمام والقطب. هذا شيخ الوقت. انظر (مشيرا إلى صورة الشهاب)

اقرأ يا فاضل.

الوزير: ومؤدّى ذلك إنكاره لمعتقدات أهل السنة والجماعة.

ابن درباس: كافر. كافر.

صلاح الدين: لا أكـــره شيئاً كرهى للفلسفة هذه. فما قسّم الإسلام وجعله شيعاً إلا هذه الأباطيل.

(بغضب) اقرأ يا فاضل.

الوزير: وهـــو بهدمـــه الجدار الفاصل بين الله والناس. أى الشريعة إنما يهـــدم الجـــدار بيـــن الحاكم و المحكوم. مما يغرى الرعية بعدم الطاعة للخليفة. إذ لا طاعة فى أمر يمكن تجاوزه بما يجدونه فى

عقولهم أو قلوبهم من مقصود الله وعلمه.

صلاح الدين: (غاضبا) أرأيـــت. كأنه يقول إننا نتخذ الشريعة ذريعة للحكم ليس إلا. إنه يهدم الدولة يا قاضى.

الوزير: (مســتمرا) ويلمـــح الكافر إلى أنه كما أن سلطة الله مطلقة على عباده، فإن حكومة السلاطين مطلقة كذلك. فهم يبنون ملكهم على مـــثاله تعـــالى. ويدّعـــون أنهم وحدهم الذين يفهمون مراده من الشريعة. ويوحّدون بينهم وبينها فكأنهم يتحدثون باسم الله!

ابن درباس: استغفر الله العظيم.

صلاح الدين: (يشغل الجهاز بنفسه وتظهر صورة أخرى للشهاب)

(بغضـــب) انظـــر. إنـــه أشـــد خطراً على الإسلام من الصليبيين (يحـــاول تكبير الصورة فيفشل لتوتره يقوم البصاص بذلك حيث نـــرى صـــورة الشهاب تتحول بالتدريج من لقطة عامة إلى لقطة مقربة جدا يتضح فيها هذا البريق الأخاذ فى عينيه)

انظـــر إلى عينيه يا ابن درباس. انظر يا فاضل. إنه ساحر. نعم. لابد أنه سحر الظاهر ابنى.

(يبدو عدم احتمال صلاح الدين لصورة الشهاب فهو يغلق الجهاز بعصبية) (لفاضل) وماذا أيضا يا فاضل؟

الوزير: (يعود إلى الرسالة) ويقول إن الوحى مستمرٌ. والنبوة ممكنة.

ابن درباس: أستغفر الله العظيم.

صلاح الدين: (متأملا) أليس هذا كلام الإسماعيلية؟

ابن درباس: بل أخطر يا مولاى. فهم يحصرون الإمامة فى آل البيت. أما هذا الكافـــر فيطلقها عامة. لكل من تهيّأ. كما يقول. لمشاهدة الله فى قلبه.

الوزير: (مســتمرا) من هذا كله. وبعد مناظرته أمام الشهود أفتى الفقهاء بتكفــيره. وحرق كتبه. ورفعنا هذا المحضرإلى أعتابكم الشريفة لتــنفذوا فيه حد الله. فإن بقى هذا الكافر فإنه يفسد الأمير. وإن أطلــق فإنـــه يفسد البلاد. وفقنا الله إلى الطاعة والانتصار لأهل الســنة والجماعـــة. ووقانا غوائل المروق. هذا وبالله التوفيق. توقيعات.

(صــلاح الديــن شاردا يشغل الجهاز فتظهر صورة للشهاب مع الكاتب مما يلفت نظر السلطان)

صلاح الدين: ومن هذا أيضا؟

الوزير: (متأملا) لابد أنه واحد من أتباعه يا مولاى.

صلاح الدين: مجنون آخر. والآن. ماذا يا قاضى القضاة؟

ابن درباس: إنه كافر. ما فى ذلك شك.

الوزير: لابــد من قتله يا مولاى. لقد استطعنا التخلص من شوكة الشيعة فــى الشـــام. وبقاء هذا. بما اجتمع حوله من أتباع خطرٌ على الدولة.

صلاح الدين: (شاردا) أفكر فى الطريقة.

الوزير: الطرق عديدة يا مولاى.

ابن درباس: على أن تكون أمام الناس.

الوزير: نضرب رأسه بالسيف.

ابن درباس: أو نحرقه حيّا.

الوزير: أو نلقيه من فوق القلعة أمام الناس.

صلاح الدين: انتظرا. أما قتله فقد قررت ذلك أمس. بعد أن قرأت المحضر. لا.

لــيس هذا ما أفكر فيه يا ابن درباس. إنما أريد أن يقتله الظاهر بنفسه.

الوزير: (مندهشا) الأمير؟

صلاح الدين: نعم. لا يقتله أحد إلا ابنى.

الوزير: (مندهشا) الظاهر!

صلاح الدين: نعم. لأتأكد أنه قد كفر به، وتخلص من تأثيره عليه.

ابن درباس: نِعــم الــرأى يــا مولاى. ويمكنك أن تخيّره بين الملك وبين هذا الكافر (نسمع نهجان نوران يتزايد مع كلام السلطان)

الوزير: (مبالغا فى تقديره) هذا منتهى الرشد يا مولاى.

صلاح الدين: اكتب يا فاضل. اكتب بهذا المعنى لابنى الظاهر. اكتب أننى ذاهب إلى دمشق. ولن أ توِّجه ملكا على حلب حتى يقتل الشهاب بيديه. اكتــب. هــذا الشهاب لابد من قتله، ولا سبيل لأن يطلق أو يبقى بوجه من الوجوه.

(يلاحــظ صورة الشهاب مع الكاتب فيرميها غاضباً بشىء قريب من يده)

إظلام

١١

لو تأخذنى بيدِك
فنطيرُ
معاً

(صوت أجنحة غامضة – الظاهر يجلس على الأرض مستنداً إلى كرسـى العـرش، وأمامه كتب السهروردى المحترقة الأطراف. كـتاب كبير مفتوح أمام الظاهر، ومصباح هو الضوء الوحيد فى المشـهد – مع تزايد صوت الأجنحة ينهض الظاهر، يتلفت باحثا عن مصدر الصوت)

الظاهر: **أعـرف أنـك هنا. أشعر بأنفاسك يا شهاب. لماذا لا تظهر لى.. لماذا تحجب نورك عنى؟** (يقترب من الشرفة ويزيح الستارة فجأة كأنـه سـيجده) **أيـن أنـت؟ أين أنت؟** (يطل من الشرفة) **ها هى مملكـتى. هـا هى حلب تنام هادئةً كما ينام قاتلٌ محترف.** (يدور حـول العرش ثم صارخا) **ملكُ الخراب أنا وسلطانُ الخلاء. أين أنـت؟ أيـن أنـت؟** (يظهـر الشهاب خلال هذا المشهد وكأنه من الهلاوس البصرية والسمعية للظاهر)

الشهاب: **قلت لك لن تستطيع معى صبراً.**

الأمير: (مـتراجعا وخائفا) **لكننى حاولت. أنت تعرف. أغضبتُ السلطان. أغضـبت الفقهاء. حاولتُ يا شيخى. حاولت** (يدور حول العرش مـتفكراً) **هـل قصـرتُ؟ هل تعجلتُ؟ لا. بل أنت الذى خذلتنى. أغويتـنى بالنبوة. وتركتنى بلا دليل.** (صمت) **حلمتُ. يأتمر بى الجن والإنس. أصرّف الرياح وأفهمُ لغة الكون. لكنك. كما كشفت لى. حجبت عنى. لو. لو أنك كتمت.**

الشهاب: **الحق لا يكتم يا أمير.**

الأمير: ولمن تعلن هذا الحق!

الشهاب: أعلنه على الناس يا أمير.

الأمير: الفقهاء الصعاليك!! عبيدُ الإحسان!! أتموت من أجل هؤلاء.

الشهاب: نعم يا أمير فشأن هؤلاء كشأن النمور التى ربتها الماعز. لا تعرف أنها نمور.. يا حى يا قيوم ياكلٌ. يا نوركل نور وفائضُ كلّ خير وجود، خلصنا إلى مشاهد ربوبيتك، وأخرجنا من هذه القرية الظالمُ أهلُها. هيا يا أمير. (يقف ويشرع يديه كالطائر) ادفعنى. وأرهم أنك تفعل.

الأمير: (صارخا) لا. لا. لا أستطيع.

الشهاب: أنا ذا على الصراط. نفخة واحدة ستجعلنى أطير.

الأمير: لا أستطيع. لا أستطيع.

الشهاب: افعلها وكن ملكاً محبًّا للحقيقة.

الأمير: كيف أبدأ ملكى بالدم. لو تأخذنى فنطير معا (نسمع اصطفاق الأجنحة ثم شهقة جمهور وسقوط جسم – صمت للحظات) لِمَ تبق معىء ألم تعدنى أن أكون عبداً ربانيّاً، أقول للشىء كن فيكون؟ (يجلس على العرش خائرا) أصبحت ملكا ولكن. أى مُلك. أى مُلك. ها أنت طليق كزغب يسبح فى الضوء. وأنا. أرسب كالطينة فى قاع البئر. لا أنحلّ ولا أطفو. (يصرخ) خذلتنى. خذلتنى. (نسمع جلبة وأصواتا غاضبة، ينتبه الظاهر على دخول الحاجب الذى يبدى اندهاشه من الظلام ووضع الملك)

الحاجب: مولاى.

الظاهر: ما هذه الجلبة. (يعتدل ويدور حول العرش)

الحاجب: إنهم الأهالى. مجتمعون عند القلعة يا مولاى.

الظاهر: (منزعجا) لماذا؟

الحاجب: يقولون إن الرجل المصلوب على البوابة ليس الشهاب.

الظاهر: (مذهولا) ماذا؟ ماذا تقول أيها المجنون؟

الحاجب: هذا ما يقولونه يا مولاى. وبالباب فقهاء يلتمسون الإذن بالدخول

الظاهر: (حائراً ومرتبكا) من هؤلاء أيضا.

الحاجب: فقهاء حلب يا مولاى. وبينهم مجد الدين وزين الدين.

الظاهر: (مترددا) أدخلهما. واصرف الباقين. كيف. ماذا حدث؟ (الحاجب يتجه للانصراف ثم يعود)

الحاجب: هل أضىء النور يا مولاى؟

الظاهر: (شاردا) النور. نعم. نعم (الحاجب يضىء شموعا هنا وهناك ثم يقترب الظاهر من الشرفة) هل طار حقًّا؟ ألم يدقوا المسامير فى يديه ورجليه (ضاحكا بشكل هستيرى) هل سخر منهم وطار؟ (يدور الظاهر فارداً ذراعيه صارخاً) طر يا أبا الفتوح. أيها المؤيد بالملكوت. طر يا شهاب الدين (يتوقف فجأة وبأسى) ولكن لِمَ لا تخرج لى؟ لماذا تتركنى وحيداً هكذا على عرش بارد كالبئر؟ (يجلس على العرش ويعبث بالتاج الذى كان ساقطاً بين الكتب ثم ينتبه على صوت التقديم البروتوكولى المصحوب بالموسيقى فيضع التاج بسرعة على رأسه)

الحاجب: (وخلفه الفقيهان) مولاى الملك الظاهر غازى.

الظاهر: ادخلا. ما هذا يا فقهاء؟ ما كلُّ هذا الهياج عند القلعة؟

زين الدين: إنما نسألك يا مولاى.

الظاهر: أنا.

مجد الدين: (وقد لاحظ بامتعاض كتب الشهاب) ومن نسأل غيرك يا مولاى؟

الظاهر: اسأل نفسك يا مجد الدين. ألم أقذفه من القلعة بنفسى؟

مجد الدين: نعم.

الظاهر: وسقط أمامكم يا فقهاء؟

زين الدين: نعم.

الظاهر: ألم تفحصوه بأنفسكم وتيقنتم من موته؟

مجد الدين: (مذهولا) نعم. نعم يا مولاى.

الظاهر: ألم تطلبوا أن يُعلّق على باب القلعة ليراه العامة مقتولاً؟

زين الدين: نعم.

الظاهر: وبعثتم للسلطان بموته. وتخليص المسلمين من شرِّه وزندقته؟

مجد الدين: نعم.

الظاهر: (غاضبا، ويكاد أن يصرخ) فما الجديد يا فقهاء؟

زين الدين: الجديد أننا. لم نجده هو.

الظاهر: بعد صلبه! بعد ثلاثة أيام وهو معلق على بوابة حلب؟

مجد الدين: نعم.

الظاهر: كيف يا فقهاء؟

زين الدين: وجدناه الحارس يا مولاى.

الظاهر: وماذا أفعل؟

زين الدين: أخبرنا حارس السجن أنه هناك.

الظاهر: (بسعادة) من. السهروردى؟

مجد الدين: نعم. الكافر لا يزال فى السجن يا مولاى.

الظاهر: (شـــارداً) غريـــب. غريب أمر الشهاب. لماذا لم يهرب، إذا كان بمقدوره أن يفعل؟

زين الدين: هذا سحر يا مولاى.

الظاهر: (بحسم) بل كرامة الولِىّ يا فقهاء. تقولون إنه فى الحبس.

مجد الدين: نعم. والقيد فى رجليه.

الظاهر: وما هو مطلوبكم الآن؟

زين الدين: لابد من قتله يا مولاى. إنه يسخر من الجميع.

مجد الدين: نعم. يا مولاى. يسخر منك ومنا. ومن أوامرِ السلطان. وإذا أفلت ستطيح الفتنة بالملك والسلطنة.

زين الدين: ســتقول العامة إن رجلاً سخر من الدولة بعد أن عبث بالشريعة والقائمين على إنفاذها.

مجد الدين: لابد من قتله يا مولاى.

(نســمع ضــجة الأهــالى بالخــارج ثم تختلط بصوت اصطفاق الأجنحة).

الظاهر: (مترددا ثم بحسم) سأفكر فى الأمر. فكروا أنتم أيضاً.

(المخرج متقدما من بين الجمهور وصاعدا خشبة المسرح)

المخرج: هذه رواية الكاتب عن موت السهروردى. ولكنها رواية غامضة ولذا فأنا أتخيل نهاية أخرى.

الأمير: نهاية أخرى. كيف؟

المخرج: سيرة السهروردى تؤكد أنه كان كثير الصيام وكان يعتبر الصيام

هــو المـــوت الأبيض الذى يتخلص به من قبضة البدن. لماذا لا يموت صوماً؟

الأمير: جوعا. هذا فظيع.

مجد الدين:

زين الدين: (معاً) إلى هذا الحد يموت الإنسان من أجل رأيه!

المخرج: لمـــاذا لا نقـــول. إلى هذا الحدّ يُعذب السلطان مخالفيه؟ هذا هو السؤال يا فقهاء.

إظلام

١٢

هل مَات؟
بل سيظلُّ يَخرجُ من جسدٍ
ليدخلَ فى آخر!

(السهروردى وتلميذه يجلسان فى الحبس.. يلاحظ أن الحبس غرفة زجاجية فى جانب من القلعة على الطريق. السهروردى يحتضر وتظهر السلاسل فى قدميه. من حين لآخر يمرّ بعض الأشخاص ينظرون إليه ويستحدثون مع بعضهم أو يدورون حول الغرفة يتحسسون الزجاج الوهمى أو ينقرون عليه للفت نظر الشهاب.. عندما يكون الحديث داخل الغرفة لا نسمع الخارج والعكس صحيح.. يدخل أربعة أشخاص)

الأول: (مأخوذا) **يا الله. لماذا هذا التعذيب؟**

الثانى: (يدور مع الزجاج متأملا الشهاب) **يريدون أن يتأكدوا من موته. سخر منهم قبل ذلك.**

الأول: **أستغفر الله.**

الثالث: **ألم يجدوا طريقة غير هذه؟**

الثانى: **هذا طلبه. يقال إن الملك خيّره فى الطريقة التى يموت بها. فاختار الصيام.**

الرابع: (يضع ما كان يحمله وينظر حزينا) **لماذا يقتلونه أصلا؟**

الثانى: **كافر. كافر. ألم يقل الفقهاء هذا؟** (يتأمل الرابع ويكتشف أنه غريب عن حلب) **آه. أنت غريب عن حلب. لم تحضر مناظرته إذن.**

الرابع: **وهل ناظروه؟**

الثانى: نعم. وأفتوا بقتله.

الرابع: هل استتابوه ورفض؟

الثانى: (مرتبكا) لا. لا أعلم شيئا عن هذا.

الثالث: يا عم. هيا. دع الخلق للخالق. (يخرج الأول والثانى والثالث بينما يتلكأ الرابع قليلا وهو يدور ليتأمل الشهاب).

شمس: (مقتربا من الشهاب) لِمَ بحت يا سيدى؟ لماذا فضحت قلبك و بذلت سرك للعوام؟

الشهاب: بعض الخاصة ليسوا منا يا شمس. وما نخفيه بالرمز يقرأونه كما نقرأ ويعرفون مرادنا منه. لكنهم غيرنا. هم جند السلطان وظله. يميلون معه كيف يميل.

شمس: آه يا مولاى. كنت طلقا كما لو كنت تملىعلى (الرجل الذى يدور متأملا الشهاب يحمل أشياءه ويخرج) لكنك غيرت فى كلامك يا مولاى.

الشهاب: كيف؟

شمس: قلت ما لم تقله فى كتبك. وزدت فيما قلت.

الشهاب: اسمع يا شمس. النبىّ. صلوات الله عليه. فى مرضه الأخير. طلب ممن حوله أن يملى عليهم كتابا جديدا فرفض عمر وقال هذا من أثر الحمى.

شمس: وماذا فى ذلك يا سيدى؟

الشهاب: أضاع علينا ما كان يريد أن يزيده أو ينقصه يا شمس.

شمس: (متأملا) نعم. نعم.

الشهاب: كنتُ قريباً من هذا الحال. أشعر أننى مغادرٌ وأن ما أَبْهَمَ على

خلصـــائى يمكنـــنى أن أوضـــحه. وما كان العمر كفيلاً بفحصه ونسخه علىّ أن أفعله في الوقت والحين.

شمس: **هكذا يا مولاى. أمام الخصوم !**

الشهاب: **نعم يا شمس. أمام المريدين والخصوم جميعاً. فما حاجة الراحل للـــتخفى؟** (شاردا) **كانت بعض نصوصى مصابة بضعف الخائف. أمـــا وقـــد عزمـــت على الخروج فقد أعلنت ما كتمت وأسررت. وأفصحت عما أبهمتُ وألغزت.**

(يدخل مجد الدين ومعه بعض تلاميذه. يحيطون بالزجاج الوهمى ويتحدثون دون صوت وعلامات السعادة بادية على مجد الدين)

شمس: **خذنى معك يا مولاى. لم أعد راغبا فى هذا العالم** (مقتربا جدا من الشهاب، ويطلعه على شىء خفية) **انظر.**

الشهاب: **ما هذا؟**

شمس: **سِمُّ الزئبق. إنه سريع جداً.**

الشهاب: (منزعجاً وبحسم) **لا. لا يا شمس.**

شمس: **أتوقُ مثلك للنور.**

الشهاب: **لم يأتِ أوانُك بعد.**

(نسمع نهجان نوران. ويلاحظ شمس وَهَن الشهاب الذى يروح فى إغمـــاءة. وبينما نرى ارتباك شمس تدخل جارية ومعها عبد يحمل رمحاً، تقترب الجارية من الزجاج متلهفة آسِفة هلعة، وتكشف عن وجههـــا، فـــنرى أنها"وردة" الجارية فى بلاط الأمير وهى أيضاً البائعة فى المشهد الأول)

وردة: **ســـيدى. سيدى ومولاى. ماذا فعلوا بك؟ انظر إلى. دعنى أتملى نـــورك. دعـــنى أتأمل عينيك. مولاى. مولاى. ماذا يحدث؟ ماذا**

يجـــرى هنا؟ يا شمس. شمس (تخبط على الزجاج بشدة – يلتفت شـــمس المرتـــبك لكنه يغادر الحبس إلى داخل القلعة مهرولا) يا شمس. شمس.

العبد: مولاتى وردة (متلفتا متوجِّساً) اخفضى صوتك.

وردة: إنه لا يرانى. لا يسمعنى. اعطه القوة يا رب. اعطِه القوة ليلتفت إلـــىّ. لأراه وهو يرانى. مرة واحدة. واحدة يارب. سيدى. سيدى (تنقر على الزجاج بشدة).

العبد: مولاتـــى. يجـــب ألا يرانا أحد. يجب أن نمضى من هنا حالا. إذا رأوك سينتقمون منك ومنى.

وردة: اذهـــب أنت (تنشج باكية راكعة على ركبتها) ما قيمة حياتى بعيداً عـــنه. اذهب. أريد أن أكون هنا. إلى جانبه فى لحظاته الأخيرة. اذهـــب. اذهـــب أنـــت (العبد متفهما يستدير ويواجه الطريق كمن يحميها ويحاول أن ينبهها فى الوقت المناسب) هذا حظك يا وردة. تنقلـــتِ مـــن فـــراش إلى فراش. كلُّهم أخذوكِ وتركوكِ إلا أنت (مشـــيرة إلى الشهاب) لماذا لم أرق لك؟ لم أكن أطلب شيئا. فقط أن تـــرانى. أن تقـــع عيناك علىّ. (تنشج بشدة) لم أحلم بأكثر من هـــذا. كنـــت أريـــدك أن تغسلنى بالنور. بالنور الذى يفيضُ من عينيك. وإذا تكرمت ولمست شعرى فلكى تزيح عنى جنونى. كنت أريدك أن تطهرنى بالنور. أن تطلقنى من جسدى كسحابة بيضاء فى الأعالى. لماذا ضننتَ علىّ؟ لماذا تركتنى؟

(الشـــهاب يفـــيق بصعوبة من إغماء ته. يحدق فيها ذاهلا فتحدق فيه بفـــرح جـــنونى) يا ربى. ها أنت ترانى. ها أنت تعطف على. سأغنى لك. نعم. سأغنى وأرقص. لن ترحل قبل أن تباركنى. يا ربى. يا ربى (تبدأ فى رقصة جنونية وهى تغنى:

بالسر إن باحوا تباحُ دماؤهم

وكذا دماء العاشقين تباحُ

أثناء حمى الرقص لا تنتبه لما يجرى حيث يسقط الشهاب فى الإغماء مرة أخرى ويلاحظ قلق العبد وخوفه من قدوم أحد. يدخل شمس مع حارس إلى الشهاب. الحارس يفحص الشهاب ويؤكد أنه لا يزال حيا.. يخرج الحارس ويبقى شمس – تسمع ضجة من الطريق ونرى هلع العبد الذى يكاد يجر وردة جرّا).

العبد: **إنهم قادمون. سيقتلونكِ هنا. هيا. هيا** (تنصاع له بصعوبة وهى تتلفت إلى الشهاب الذى ينظر إليها مذهولا).

وردة: **باركنى يا مولاى.**

العبد: **هيا. هيا يا مولاتى.**

وردة: صلّ لى. ادع لى.

العبد: هيا.

وردة: (وهى خارجة) **أستطيع أن أموت الآن. الآن يا مولاى.**

شمس: **مولاى. أفق يا مولاى.** (يتحسسه ويندهش من نظرة عينيه).

تداعيات الشهاب	البحر	شروق / خارجى
– لقطة قريبة لنرى صبيا يقفز خارجا من قارب ثم يلتفت ناظراً إلى داخل القارب حيث تنطلق مجموعة من العصافير. يتابعها الصبى مبتسما، ثم يعود، وينظر.		– صوت أمواج مختلطة بأصوات نوارس.

- كلوز على وجه شاهندة نائمة تفتح عينيها من أثر الشمس وتلاحظ الصبى الذى يراقبها فتبتسم.
- الصبى يواجه البحر بينما تطل عليه شاهنده مستندة بساعديها على حافة القارب وهى تبتسم، وشعرها يتطاير فى الهواء.
- كلوز على يد الصبى وهى تكتب على الرمل:
"كُلّى لكِ لكِ.. كُلّك لِى لِى"
والموج الخفيف يروح ويجىء عليها حتى تختفى.

مولاى. أفق يا مولاى.

الشهاب: (حالما) كأننى رأيت شاهندة.

شمس: (مندهشا) إنها وردة يا سيدى.

الشهاب: (غير متذكر) وردة!

شمس: ألا زلت تذكر شاهندة!

الشهاب: (بوهن) شاهندة. لقد مضى العالم كله يا شمس.

شمس: (شاردا) كانت تغرينى لأحدثها عنك. كانت (طوال حديث شمس يأتى البعض يطل على الشهاب ويمضى) تأخذنى إلى الحديقة. تعبث فى شعرى. وتقطف التفاح لى. ثم تسألنى عنك فجأة. كنت أصف لها دروسك أو أقصّ عليها ما نراه فى السفر من نوادر.

كانت تسمع كل هذا. ثم تسألنى : هل يذكرنى؟ سامحنى يا سيدى. كنت أقول لها : نعم يذكرك. آه لو كنت تراها يا سيدى. كانت روحها تضىء.

الشهاب: أنت لم تحدثنى عنها أبدا.

شمس: (مستمرا) كانت تكتب رسائل صغيرة. وتقول لى. ضعها بين أوراق سيدك. كنت أخشى غضبك. فأمزقها. وعندما تسألنى هل فعلت؟ أقول نعم. نعم فعلت فأرى الدموع فى عينيها. وعندما رفضت أن آخذ رسالتها الأخيرة. انطلقت وألقت بنفسها فى النهر. (أثناء حديث شمس وشروده يسقط الشهاب فى الإغماءة. ينتبه شمس إلى ذلك فيهرع مذعورا إلى داخل القلعة ويعود بالحارس. نلاحظ تجمع البعض حول الزجاج يتابعون ما يحدث)

الأول: هل مات؟

الثانى: لا. ولكنه يموت.

الثالث: هل تصدقون هذا؟

الرابع: هذا ما نراه.

الثالث: لن أصدق حتى تمرّ سنة. من يدرى (ضاحكا).

الخامس: لا. هذه هى النهاية بالتأكيد.

الأول: أعتقد أنه مات.

الثالث: بل سيظل هكذا. يخرج من جسد ليدخل فى آخر.

الثانى: وما ذنب الذين يموتون بدلا منه.

الثالث: أتسأل عن الذنوب!

(الحارس يخرج شمس الذى يقاوم ذلك راغبا فى البقاء مع الشهاب).

الثانى: **لابد أن الأمر جاد هذه المرة.**

الخامس: (يـــنقر على الزجاج ليلفت نظر الحارس الذى انبطح واضعا رأسه على صدر الشهاب ليتأكد من موته) **لابد أنه مات. أنت. أنت. هل مات؟**

الثانى: (ناقرا على الزجاج أيضا) **أيها الحارس. أنت. هل مات الشهاب؟** (الحـــارس يضع رأسه على قلب الشهاب الذى أصبح ممدداً الآن علـــى شكل صليب – يخفت النور تدريجيا، بينما نسمع فى الظلام أصوات : هل مات؟ هل مات؟).

إظلام

(مجد الدين من بين الجمهور)

مجد الدين: **لا. لا. هـــذا عمـــل تحريضى. أين المخرج؟ لا. أنا أرفض** (بقعة الضوء تبحث عن مجد الدين الذى يتقدم إلى خشبة المسرح).

لا. لا. أنا لا أقبل هذه الميتة. ربما يكون لها سند تاريخى. لكنى أفضل الرواية الثالثة. نعم. رواية خنق الظاهر له فى قلعة حلب. صحيح. هى قاسية. لكنها تتوافق مع التراجيديا. وتتفق مع مزاج هذا العصر.

(تدخـــل مجموعـــة جديدة من الناس تحمل شموعاً وتتأمل الشهاب وتنقر الزجاج وتدور حوله).

الأول: **أيها الحارس. أنت. هل مات الشهاب؟**

الثانى: **لابد أنه مات. إنه لا يتحرك.**

الثالث: (يتوجّه إلى مجد الدين) **هل مات يا سيدى. هل مات؟**

مجد الدين: **لن يموت هكذا. لا.**

(متوجها للجمهور) **موته هكذا. مشكلة. لأنها ستجعل الناس يشفقون عليه. بل قد يتعاطفون معه وهذا ضد رغبة السلطان وضد النص. أين المخرج؟** (يندفع خارجا) يعود الجميع إلى الدوران حول الزجاج الوهمى وتبدأ الشموع فى الانطفاء واحدة بعد الأخرى مع تصاعد نهجان نوران).

إظلام

١٣

الآن
يُمْكِنُنِى الخُرُوج
من الصّدَفة

(ســجن قلعة حلب. ظلام وصمت يقطعه نهجان نوران ثم نسمع صوت الشهاب).

الشهاب: **اللهــم ثبتــنا على النور. و أيدنا بالنور. واحشرنا فى النور. يا فاطر الأشباح. وباعث الأرواح. يا نهاية آمال الراغبين.**

(جلــبة وصــوت أقــدام ثقيلة ثم صرير باب يفتح. على الضوء الشــحيح مــن فتحة الباب. نرى الشهاب جالسا فى ركن الزنزانة بينما يدفع الحراس شمس الدين الذى يبدو مرتبكا من الظلمة).

حارس ١: **ادخل يا كافر.**

حارس ٢: **ادخل إلى سيدك الزنديق.**

شمس: (متوقفا بعد إغلاق الباب) **هبنى نوراً أمشى فيه إلى النور.**

الشهاب: **ادخل يا شمس.**

شمس: (يكتشف مكان الشهاب فيهرع إليه ونلاحظ القيود فى يدى شمس) **مولاى.**

الشهاب: (ملاحظا جروح شمس) **ماذا فعلوا بك يا بنى؟**

شمس: **جرحونى. جرحونى يا مولاى. انظر** (يستعرض جروحه).

الشهاب: **برابرة. غلاظ القلب.**

شمس: **أخــذوا كل شىء. كل شىء. كانوا يقلبون فى الأوراق ثم يلقون بهــا فــى الــنار. عيونهم كانت تلمع كالقتلة. لمعة النصل وهو يهوى.**

الشهاب: **لا تقلق يا بنى. كلماتى لم تعد فى الأوراق. كلماتى فى الريح. ستطير من مكان إلى مكان. وتحطُّ من آن لآن. إنها كالنور يا شمس. لأنها من نور النور. والنور لايُحبس يا بنى.**

شمس: **كانوا سوداً كالغربان يا سيدى. سوداً كالغربان.**

(أثناء كلامه نلاحظ دخول مجموعة من الأشخاص بشكل غامض؛ فالباب مغلق. إنهم يلبسون السواد، وعباءاتهم تجعلهم يتحركون كالغربان ولهم جميعا قناع واحد وصوت واحد هو قناع وصوت مجد الدين).

رحت أصرخ. انتظروا يا كفرة. أنتم تبددون العلم يا سفهاء. لكنهم كانوا يضحكون. ينظرون إلىّ ويضحكون.

الشهاب: **احتسب لله هذا يا بنى.**

شمس: **لم أستطع أن أميّز بينهم أحداً. لا أحد إلا مجد الدين. كان وجهه فى كل مكان.**

(نلاحظ أن الحلقة التى صنعها الداخلون تضيق شيئا فشيئاً حول الشهاب وشمس) **كان أكثرهم غضبا. كان يضحك بشكل هستيرى. غاضبا وسعيدا. لماذا كل هذا الحقد؟ لماذا كل هذه الضغينة والغل؟ هل يتحمل القلب نارا كهذه؟ هل يتحمل الإنسان جبلاً من المرارات كالتى يحملها؟**

(شمس يلاحظ فجأة أنهما محاطان بمسوخ لها وجه مجد الدين وأن الحلقة تضيق حولهم – يصرخ خائفا) **سيدى. إنهم هنا. إنهم هنا يا مولاى!!**

ماذا حدث؟ من أين جئتم؟ ماذا تريدون؟

الشهاب: (مطمئنا) **آن الأوان يا بنى. ابتعد أنت.**

شمس: لا. كيف أتركك يا سيدى. ماذا تريدون؟

الشهاب: اخرج يا شمس.

مجد الدين ١: كلا. لن يخرج.

مجد الدين ٢: تخلّص من التلميذ ليموت الأستاذ.

مجد الدين ٣: هكذا تقول الحكمة.

الشهاب: لن تطفئوا نور الله بأفواهكم. هيا يا فقهاء الظلام (مشيراً إلى صدره) أنفذوا مرادكم. اخرج يا شمس.

مجد الدين ٤: بل اقتلوه. فلا ينشر الكفر على الناس.

مجد الدين ٥: هيا.

الشهاب: أتقتلون رجلا يقول ربى هو الله. لماذا يا كفره؟ لماذا؟

شمس: لماذا يا قتلة؟

(يحيطون بشمس)

الشهاب: كفّ عن هذا يا شمس. اذهب يا بنى. هاأنذا يا فقهاء. أنا الذى ناظرتكم لا شمس.

شمس: وما قيمة الدنيا إذا خلت منك يا سيدى؟ ما قيمة العالم إذا خلا من النور؟ من التسامح والمحبة؟ من الحرية و العدل؟

مجد الدين ٦: اسكت يا كافر.

شمس: (مستمرا) ما قيمة الحياة إذا صارت ظلمات بعضها فوق بعض. اقتلونى يا فقهاء. اقتلونى واتركوه. لولاه لظللت عبدا فى بلاط أرسلان. لولاه ما رأيت النور يا فقهاء.

مجد الدين ١: اقتلوه

الشهاب: **دعوه يذهب. حامل الكفر ليس بكافر يا فقهاء.**

مجد الدين ٧: **لن يخرج أحد من هنا. حيّا.**

مجد الدين ٤ : **هيّا.**

مجد الدين ٣: **هيّا.**

(يـتجمعون على شمس فلا نرى سوى يديه المقيدتين فوق رؤوس القتلة).

الشهاب: **اللهم ثبته على النور، وأيده بالنور، واحشره مع النور.**

(نسـمع صـرخة شمس الأخيرة ونراه يتخبط وقد أوسع له القتلة فيصـل مضرجا بدمه إلى الشهاب الذى يحتضنه لكنه لا يلبث أن يتهاوى ساقطا على ركبتيه محتضنا ساق الشهاب ورافعا رأسه إليه – بينما يمسح القتلة خناجرهم فى عباءاتهم ناظرين إليهما بكراهية واضحة)

شمس: (محتضرا) **غربان. غربان كثيرة يا سيدى. إنهم يحجبون النور.**

الشهاب: **اتبع النور الذى فى قلبك يا شمس.**

مجد الدين ١: **دمه فى رقبتك يا كافر** (مشيرا إلى الشهاب).

شمس: **ادع لى يا شيخى. ادع لى يا سيدى** (يسقط ميتا).

الشهاب: (يهبط على ركبتيه أمام شمس – يمسح شعره ويتأمله حزينا) **نم يا بنى. نم قرير العين. سنلتقى فى النور.**

(ينهض غاضبا ومواجها الفقهاء).

أيهـا القتلة. ما الذى ستقولونه عندما يبعثكم الله وفى أيديكم هذا الـدم الطاهـر؟ (يمـد يده نحوهم بدم شمس) **ماذا ستقولون وفى أيديكم هذا الدم؟**

دم ابن درهم. (كلمـــا نطق اسم أحدهم تظهر صورته ثم تختفى – يتم ذلك فى أماكن مختلفة ممـــا يجعلهـم يـــتابعون ذلك بارتباك ويصـــاحب ذلـــك الصرخات الأخيرة لمقتولين. آتية من بعيد).

والحلاج.

وغيلان الدمشقى.

ومعبد الجهنى.

وعمرو المقصوص.

مجد الدين ٢: ودمك أيضا يا شهاب الدين.

مجد الدين ٧: اقتلوه.

مجد الدين ٣: اقتلوه.

مجد الدين ٥: هيّا.

(يهجمون على الشهاب شاهرين الخناجر، فيوقفهم بإشارة حاسمة).

الشهاب: لا. ليس بأيديكم. تقدم يا أمير.

(مشيرا إلى أحدهم هو مجد الدين ٨ الذى لم يتكلم حتى الآن).

تقدم. ما كنت لأقتل بيد هؤلاء.

(يرتبك من المفاجأة كما تظهر الدهشة على الباقين).

تقدم.

مجد الدين ١: تقدم يا أمير.

مجد الدين٢: فكر فى والدك السلطان.

مجد الدين ٣: فكر فى التاج.

مجد الدين ٤: فكر فينا نحن الفقهاء.

مجد الدين ٥: فكر فى الأمراء.

مجد الدين ٦: فكر فى أهل حلب.

مجد الدين ٧: فكر فى الدولة.

(معا ككورس)

تقدم. تقدم. تقدم. تقدم.

الشهاب: **تقدم يا أمير.**

(يتقدم الأمير مرتبكا مترددا).

يمكننى الآن. أن أغادر هذا الظلام. الآن يمكننى الخروج من الصدفة.

(مشيرا إلى جسده).

ولكن. دعنى أترك الدنيا و أنا أرى وجهك يا أمير. دعنى أرى وجه تلميذى. دعنى أرى من أفضت عليه من أنوار قلبى. دعنى أرى وجهك و أنت تفعل. (ينزع الشهاب بغتة قناع مجد الدين ٨ فيظهر وجه الأمير الذى يتراجع مرتبكا).

هذا ما أريد أن أراه.

مجد الدين ١: **هيا يا أمير.**

مجد الدين ٢: **نحن شهود السلطان.**

مجد الدين ٣: **نحن شهود التنفيذ.**

مجد الدين ٤: **السلطان ينتظر البشارة.**

مجد الدين ٥: **هيا يا أمير.**

مجد الدين ٦: **فكر فى التاج.**

مجد الدين ٧: **فكر فى الملك.**

(معا ككورس)

هيا. هيا. هيا. هيا.

الأمير: (مرتبكا ومحجما) **أنت الذى أخطأت. لماذا لم تطامن قليلا؟ لماذا غاليت؟**

(الكورس معا)

اقتله. اقتله. اقتله. اقتله.

(تتصاعد أصوات الكورس : اقتله مع تصاعد نهجان نوران ممتزجا بصوت اصطفاق أجنحة، مما يصنع حالة استفزازية تثير أعصاب الأمير الذى يأخذ فى الدوران حول الشهاب الذى بدا قائماعلى ركبتيه فى وضع صلاة خاصة – يهجم الأمير على الشهاب من الخلف ناشبا أظافره فى عنق الشهاب. نرى وجه الأمير فوق رأس الشهاب وعليه أمارات الغضب الهستيرى بينما نرى على وجه الشهاب حالة من الرضا الهازئ)

الأمير: **أنت الذى أردت. أنت الذى سعيت. مت إذن. مت يا شهاب الدين. مت ودعنا فى سلام.**

(الكورس)

اقتله. اقتله. اقتله. اقتله.

(يبدأ الشهاب فى التخبط – يتهاوى بجوار تلميذه بينما يظل الأمير واقفا ويداه تخنقان الشهاب – يتناوب الكورس ضربه بالخناجر)

مجد الدين ١: **كافر.**

مجد الدين ٥: **زنديق.**

مجد الدين ٧: **ساحر.**

(يترك الأمير الشهاب فيسقط ويهرع الفقهاء مهللين إلى الخارج وهم يتصايحون : مات الكافر. مات الكافر. يبقى الأمير وحده ويتصاعد من جديد اصطفاق الأجنحة فيبدو خائفا مرتعدا يدور فى

المكـــان ثـــم يقعى إلى جوار الشهاب ينظر إليه متألما ثم ينتفض مذعورا عندما يلاحظ أن على يديه دم الشهاب. يدور صارخا)

الأمير: **قتلته. قتلته يا أبى. قتلته يا فقهاء. قتلته يا أمراء. قتلته يا مجد الديـــن. اذهـــبوا إلى السلطان. اذهبوا إليه فى دمشق. قولوا له. مـــات الشهاب. قتله الظاهر. افرحوا ياأهل حلب. دقوا الطبول فى دمشق. دقوا الطبول فى القاهرة.**

(نســمع الطــبول والتهليلات. بينما ينهض الأمير ويخرج متثاقلا محدثا نفسه بشرود وأسى)

ابتهجوا أيها القتلة.

فقد مات أبو الفتوح.

مات المؤيد بالملكوت.

مات شيخ الوقت.

مات السهروردى.

إظلام

١٤

أىُّ قوةٍ أو مجد
وأنا أتخبّطُ فى دمه
كالطائر.

(المسرح مظلم – أصوات تنم عن إحساس جنسى فائح ثم صمت. صـــوت أجنحة هائلة، تتزايد بالتدريج مختلطة بنهجان نوران. ثم نـــرى أشـــباحا بأقنعة مجد الدين وزين الدين وصلاح الدين وابن درباس والقاضى الفاضل. الأقنعة محرّفة بشكلٍ غامضٍ ومخيف. الأشـــباح تتراقص حول الأمير والشهاب الذى يرتدى عباءة تجعله كالطائر. أصوات مختلطة غاضبة، تتناوب. هى هى مرة بالبطىء، ومرة بالسريع- الإضاءة والأصوات والأقنعة تشكّل كابوساً قاسيا وغامضـــا- رقصةالأشـــباح حول الأمير والشهاب تطردهما إلى أعلى مكان فى المسرح حيث يفردُ الشهابُ ذراعيه متهيّئاً للطيران)

صوت الأمير: **طر بعيدا عن مملكتى وملكى.**

صوت: **هكذا تصبح الملك.**

صوت: **هكذا تتطهر المملكة.**

صوت الأمير: **طر يا شهاب الدين. طر بعيدا عن تاجى وشعبى.**

صوت: **كن جديرا بأبيك.**

صوت: **اهربْ من خيّات الشيطان.**

صوت: **كن ملكا وتصرّف كملك.**

(المجموعة مثل كورس)

إن ترك أفسد الملك

وإن أطلق أفسد البلاد..

(يخنق الأمير الشهاب وتهوى المجموعة عليه بالخناجر ثم يسود الظلام والصمت يتم هذا كمشهد حلمى)

صوت الأمير: (صارخا) **لا. انتظر. لا تمت. انتظر يا شهاب الدين** (يدخل الأمير المسرح وعليه أمارات الفزع. يلهث ويتلفت إنه شبه عار وكأنه التقط عباءة بسرعة ليدخل قاعة العرش).

(مديرا عينيه فى المكان) لا تمت. لا تمت. انتظر. أين أنت؟

(تدخل المرأة هلعة. إنها أيضاً ملتفة بملاءة)

المرأة: **أنت تحلم يا مولاى. تحلم. انتظر. اهدأ يا مولاى.**

الأمير: **(لاهثا) لماذا تحلّق فى غرفتى؟ لماذا تتعقبنى؟ لماذا يا شهاب الدين؟**

(المرأة تحاول أن تهدأ من روعه، تلتصق به لكنه يتحرك بعنف هنا وهناك ثم تكتشف وجود الدم على يديه)

المرأة: (صارخة) **إنه الدم. الدم مرة أخرى. انتظر.**

(تهرع هنا وهناك بحثا حتى تجد منشفة وتحاول دون جدوى أن تجفف يديه)

الأمير: **كلما نمتُ زرتنى. وكلما زرتنى قمت وأنا أرشح بالدم. أصبحت أخشى النوم. أخشى النوم.**

المرأة: (بيأس) **متى يتوقف هذا الدم؟ متى؟**

الأمير: **لن يتوقف. سأظل أعرق هكذا حتى أموت. هذه لعنته. هو وحده الذى يعرف متى (يتلفت كالباحث عنه) متى يا شهاب الدين؟ متى؟**

المرأة: لا يمرّ أسبوع دون أن تحلم به.

الأمير: نعم. ثلاث سنوات واللعنة باقية. ثلاث سنوات وهو يزورنى فى الصحو والمنام.

المرأة: لقد مات. ومات السلطان. وانتقمت من مجد الدين وزين الدين. ما الذى يريده أكثر من هذا؟

الأمير: (كأنه يحدثه) صادرت أموالهم يا شهاب الدين. أجبرتهم على مغادرة حلب كالشحاذين. انتقمت لك. لكنك لا تكتفى. أهذا ما تريده؟ أن يكون دمك هكذا على يدىّ. أن تكون فى كل شىء. كل ما ألمسه (صارخا) أهذا ما تريده يا شهاب الدين؟ هذا دمك فى كل مكان. فى ثيابى. وسريرى. دمك على امرأتى. انظر. على العرش. والتاج. فى الطرقات التى أمشى فيها. على الحيطان التى أتساند عليها. الدم فى كل مكان. فى كل مكان. لم يعد إلا أن يتقطّر علىّ من السماء كلما رفعت عينى. (صارخا) ماذا تريد؟ أن تغسلنى بالدم. أن تكون حيثما أكون وحيثما يكون تاجى وعرشى وملكى. أهذا ما تريده يا شيخى أن تظل حيّا هكذا؟ أن تحلّ فى العالم هكذا. أن تتنفس بيننا هكذا. هذا مخيف. مخيف.

(يسقط على ركبتيه أمام العرش)

المرأة: (تحتضنه وتحاول تهدئته)

اهدأ يا حبيبى. اهدأ. تعال. تعال يا مولاى. أنت لم تنم بما يكفى. ارتح على صدرى. تعال. تعال سأخبئك فىّ. يا رجلى ومولاى.

الأمير: (منصاعا ثم منتفضا بخوف) لا. لا. إنه هنا. هنا. بينى وبين نفسى. بينى وبينك. بينى وبين العالمين.

المرأة: (وقد لاحظت تزايد الدم) انتظر. انتظر يا مولاى (تخرج مسرعة).

الأمير: (دائرا حول العرش)

أعــرف ضـــعفى. لكننى لم أخفِ شيئا عنك. لم أدّع أننى أصبحت مـــثلك. حاولــت. نعــم. ولم أستطع. لو أنك جذبتنى أكثر. لكنتُ طوّحـــت بالملك. وطوّحت بالعالم كالنرد. لكنك خذلتنى. نعم. كنتَ توغلُ فى النوروأنا مغلولٌ بالظلمات. كنتُ كطائر فى قفص يتأمل طائرا يغرد فى الفضاء. كنتُ وحيدا. تعيسا. تأملتُ ما يكون عليه حـــالى بعدك. لا نبوّة ولا ملك. رأيتنى غزالا تعدو خلفه الكلاب. والصـــياد فى خيمته السلطانية يتنقل كغيمة بين القاهرة ودمشق منتظرا أن تأتيه الكلابُ بالطريدة حيّة. كان لا بد أن تموت. هكذا زيّـــن لى شؤمى (يضحك بهستيريا) قلت لنفسى ما حاجتى لك إذا ما أصبحت الملك النبىّ؟ إذا أصبحت سليمان فما حاجتى للعالمين؟ مـــا حاجتى لنبى ينازعنى الحكم؟ وحتى لو لم تنازعنى. هل كان علـــىّ أن أضع إلى جوارى من اطلع على نقائصى؟ أكان على أن أبقـــى وأنـــا الملـــك النبى تلميذا ومريدا لك؟ (صارخا) أخطأت. أخطـــأت يا شهاب الدين. وهاأنذا وحيدٌ كبرصٍ فى فلاة (يضحك) إنـــه يلمـــع تحت الشمس ولكنه يمضى إلى موته وحيدا وماضيه كالظل تحت بطنه. أخطأت. أخطأت لأننى صدقت أوهامى. اقتلنى لأرتـــاح. اقتلـــنى يـــا شـــهاب الدين. لماذا لا تتكلم؟ لماذا؟ لماذا تـــزورنى دائما مقتولا؟ غيّر هيئتك يا سيدى. زرنى كولىٍّ. اغفر وســـامح. اكمـــل مـــا بدأت وكن دليلى. أو. اقتلنى. اقتلنى الآن. (صـــارخا) مـــاذا تريد؟ أن يصبح الزمان نوريًّا. أن تزاوج بين القوة والحق. بين الحرية و العدل. حاولت. حاولت ولازلت. لكنى أحتاج إليك. أحتاج إليك (يقعى بجوار العرش).

صوت الشهاب: فصٌّ الخاتم ليس الخاتم. والطائرُ ليس الفضاء.

الأمير: (ملتفـــتا) أخطأت. نعم. أخطأت يا شهاب الدين. توهّمت أن الفصّ هو الخاتم والطائر يمكن أن يصبح أنا الفضاء. أخطأت. اغفر لى.

وارفــع عــنى هذا الدم. (نسمع أصوات موسيقى ثم تدخل المرأة ومعها جوارى. إنها فى ثياب جديدة. الجوارى يحطن بالأمير)

المرأة: **هذه تعويذتى. إنها تنجح. لابد أن تنجح (بدلال) ربما خلّصتك منه واستخلصتك لى.**

الأمير: (متذكرا) **الغناء. نعم. إنه يحب الغناء.**

المرأة: **سنسمعه ما يحب.**

الأمير: **نعم. نعم.**

(منشدا) **أرى قدمى أراق دمى**

وهان دمى فها ندمى

(تــبدأ المغنـــية فى غناء هذه الأبيات ونلاحظ التواطؤ بين المرأة والجــوارى المحيطات بالأمير، فبينما ينشفن دمه بالمناشف فإنهن يقــيدنه فـــى الحقيقة دون أن يدرى - الأمير يبدأ فى الإنتشاء من الغناء ويتمايل طربا و إلى جواره المرأة تداعبه راضية)

جارية ١: (للجاريـــة ٣) **انتبهى جيدا. إنه يثور بعد الغناء. فإذا شعرت إنه يرتجف امسكى به جيدا** (للجارية ٢) **و أنت.**

جارية ٢: **أعرف يا سيدتى. فعلت ذلك من قبل.. ولكن لماذا لا تقيده مولاتى طالما يفعل ذلك.**

جارية ١: **هــل جننــت؟ هل يفعل أحد هذا بملك؟ إننا فقط نمنعه من الهياج وإلقاء نفسه من الشرفة.**

جارية ٤: **مسكين. حتى الملوك لهم هموم.**

جارية ١: **انتبهى. انتبهى فقط.**

(الأمير يزداد طربا. ثم يشير فتتوقف المغنية ثم ينشد)

إلى كم أجعل الحيّات صحبى

إلى كم أجعل التنين جارى

الأمير: غنى هذا الصوت

(تبدأ المغنية فى الغناء. تغنيه بألحان مختلفة حتى ترتفع إلى ذروة النشوة فنلاحظ أن الأمير يرتجف)

جارية ١: انتبهن.

جارية ٣: إنه يرتجف يا سيدتى.

المرأة: احذرى أن يفلت.

جارية ٢: إنه قوى جدا يا مولاتى.

جارية ٤: كأن عفريتا يسكنه.

(الأمير هائجا. ينهض بقوة وهو مقيد بمنشفة طويلة تقيد يديه وتتعلق بطرفيها أربع من الجوارى. يتحرك الأمير هنا وهناك جارا وراءه الجوارى المتشبثات بالمنشفة)

الأمير: **إلى كم يا شيخى. إلى متى يا شيخى؟ خذ ملكى. خذ التاج الذى بعتك به. خذ مملكتى التى تحيط بروحى كالسوار. التى ترزح فوق قلبى كحجر. خذ أولادى و نسائى. خذ جوارىّ. خذ شعبى كله. خذنى. أخرج لؤلؤتى منى. خذنى فأنا مجروح الروح، وها قدمى أراق دمى. (ثائرا) خذ الملك و التاج و اعطنى الأمان. لم أصبح مثل سليمان. لم أصبح حتى مثل أبى.**

المرأة: (تحاول احتضانه لتهدئته بينما نلاحظ الذعر على الجوارى) **مولاى. حبيبى. اهدأ. سينتهى هذا الكابوس. سيرحل الآن. تعال إلى صدرى. نم. نم يا ملكى ومُلكى. نم يا طائرى وفضائى.**

(الأمـــير بعـــد أن كاد يهدأ فى أحضان المرأة يثور من جديد مع ارتفاع صوت اصطفاق الأجنحة ويستطيع هذه المرة أن يفلت من الجميع)

الأمير: **أىّ ملــك هــذا؟ أىّ قوة أو مجد وأنا أتخبط فى دمه كالطائر؟ أىّ ملك وأى مجد وهو يسلّنى كالشعرة ويرمى بى فى النار؟ أىّ ملك يا أبى؟ أىّ ملك يا فقهاء؟ أىّ ملك أيها القتلة؟**

المرأة: (باكية) **ارحم قلبى. ارحم أبناءك يا مولاى. ارحم شعبك.**

الأمير: **ابــتعدى عنى. ابتعدوا جميعا. سأطير كالخفاش. سأطير كما طار الشهاب. ربما رقّ لى فأخذنى. أو منّ علىّ فأطلقنى. ها أنذا. ها أنذا يا شهاب الدين.**

(يندفع باتجاه الشرفة)

المرأة: **مولاى. مولاى.**

الجوارى: (بتتابع مرعب) **مولاى. مولاى.**

المرأة: (تدق جرسا وتصيح) **يا حراس.**

الجوارى: (بتتابع) **يا حراس. يا حراس.**

(يدخل بعض الحراس ويندفعون إلى الأمير الذى وقف على حافة الشرفة فاردا ذراعيه بملاء ته كالطائر. يمسكون به بينما يصيح)

الأمير: **سأطير إلى النور. سأطير إليك يا شهاب الدين.**

(يتجمع عليه الحرّاس والجوارى)

ابتعدوا عنى. ابتعدوا.

(يمســك بــه الجمــيع ويحملونه مغشيا عليه. يرتفع الغناء حزينا ويخفــت الضــوء بالــتدريج – يفيق الأمير فجأة ويشير إليهم أن يعيدوه إلى العرش فيلتقط التاج ويضعه على رأسه ثم يغشى عليه وهم يخرجون به!)

إظلام

برولوج

ممثلٌ بَارِعٌ
لكن المسرحية انتهتْ

(كميـــن لـــيلى بالقرب من القلعة. فى عمق المسرح سيارة شرطة يظهـــر فيها بعض الجنود يحملون أسلحتهم ويبدو عليهم الإرهاق والتعـــب. فى مقدمة المسرح ضابطان أحدهما يجلس على كرسى معدنى من النوع الذى يمكن طيه ويضع على فخذيه سجادة صلاة. الضـــابط الآخر الأصغر عائد لتوه ويحمل ترموس وكوبى شاى. هناك أصوات رياح من حين لآخر)

ضابط ١: (وهـــو يصبّ الشاى له وزميله) **لم أذق طعم النوم منذ ثلاثة أيام. هـــل هذا معقول** (يتجول) **أصبحت أحلم بشىء واحد. حمام دافئ ووجبة ساخنة.**

ضابط ٢: (متـــنهدا وهـــو يشـــرب الشاى) **أنا أيضا تعبت. والعساكر تعبت. انظر. إنهم ينامون.** (نسمع صوت نهجان نوران. يتلفت الضابطان باندهاش)

ضابط ٢: **ما هذا؟**

ضابط ١: **صوت غريب.**

(نســـمع جلـــبة، ويدخـــل جنديان يمسكان بنوران الذى تبدو عليه أمارات الدهشة)

الضابط ٢: (مندهشا) **من هذا؟** (يترك الشاى)

الضابط ١: **الله. الله. نحن فى سيرك!**

جندى ١: **كان يجرى يا باشا.**

جندى ٢: أمرناه بالوقوف فأسرع بالهرب.

ضابط ٢: (بانزعاج) الهرب؟ (يتفحص نوران)

نوران: (مندهشا) ماذا تريدون منى؟

ضابط١: ماذا نريد؟ (يترك الشاى) الله. الله. ما الذى تريده أنت؟

ضابط٢: وما هذه الملابس؟

ضابط ١: البك متنكر.

ضابط ٢: بطاقتك .

نوران: (بعدم فهم) بطاقتى؟

ضابط ١: لا تتغابَ. البطاقة.

نوران: ماذا تقصد؟

ضابط ١: الصبر. البطاقة يا بك.

ضابط ٢: فتشـــوه (يفتّشه الجنديان فلا يجدان سوى بعض الأوراق المطوية يقدمانها للضابط١، الذى يقلب فيها، ويحاول قراءتها فلا يتمكن).

ضابط١: ما هذا؟ نبش فراخ. (يقدمها للضابط٢)

ضابط٢: (يتفحصها مندهشاً) ما هذا؟

نوران: (غير فاهم) أوراق مرور.

ضابط٢: أين البطاقة؟

نوران: أية بطاقة أنا لا أفهم شيئا.

ضابط ٢: ولا نحن (للمجندين) ماذا كان معه؟

جندى ١: خرج قديم به كتب.

ضابط ٢: (مندهشا) كتب. كتب فقط؟

ضابط ١: معه سلاح؟

جندى ٢: لا يا باشا. كتب فقط.

ضابط ٢: حرزوها. (يخرج الجنديان)

ضابط ١: (على جنب للضابط٢) يظهر أنه مجنون.

ضابط ٢: مجـــنون. بهلول. قاتل. هذه ليست مهمتنا. علينا الاشتباه فقط ثم هو وحظه (يفتح الجهاز) كمين القلعة ينادى. القلعة ينادى. حول.

صوت الجهاز: غرفة العمليات معك. حول.

ضابط٢: قبضنا على شخص غريب. كان يتسلل إلى طريق العين السخنة. حول.

صوت الجهاز: عُلم. وانتظروا التعليمات. (نوران مندهش مما يحدث وخاصة من جهاز اللاسلكى)

نوران: (يحـــاول أن يلمـــس الجهاز) ما هذا؟ هل تتحدثون مع الناس فى هذا؟ أنا لا أفهم. هل أنتم من العجم، أم من الصليبيين؟ من أنتم؟ وأين نحن؟

صوت الجهاز: كمين القلعة. كمين القلعة. حول.

ضابط ٢: معك يا أفندم. حول.

صوت الجهاز: تعليمات، أمن الوزارة. يحضر فورا. حول.

ضابط٢: فورا يا أفندم. هيا يا .. ما أسمك.

نوران: نوران اسمى نوران.

ضابط٢: (بزهق) عجم و. وماذا؟

ضابط١: الصليبيين. (يضحكان)

ضابط ٢: هيا يا نوران.

نوران: إلى أين؟

ضابط١: إلى الوزارة.

نوران: (بخوف) الوزير. هل ستأخذوننى إلى الوزير؟

ضابط٢: (ساخراً) طبعا. رجل مهم مثلك. لابد أن يقابله الوزير.

نوران: القاضى الفاضل.

ضابط٢: ما هذا التخريف؟

ضابط١: (لضابط٢ على جنب) إنه يتكلم عن وزير من ألف سنة!

ضابط٢: ألف سنة!!

ضابط١: نعم. أخشى يا أفندم أن نضيع الوقت مع هذا المجنون.

ضابط٢: ولماذا تخاف من القاضى الفاضل؟ (ساخرا)

نوران: لا. أنا أخاف من أعوانه يا سيدى. أخاف من والى الحسبة.

ضابط٢: والى الحسبة! ومن هذا أيضا؟

نوران: ألا تعرفه. هذا أفضل. إنه رجل بغيض يمدّ عينيه داخلك. كما تمدّ المرأة يدها لتغسل جرة.

ضابط٢: جرة!! (ضاحكا) المهم. ماذا فعل بك؟

نوران: لا. والى الشرطة هو الذى فعل.

ضابط١: والى الشرطة !

نوران: لا. لا. بل الخفراء. الخفراء يا سيدى.

ضابط ٢: ماذا فعل الخفراء؟

نوران: شنقونى. ورمونى مع المشانيق.

ضابط١: الله. الله.

ضابط٢: هكذا!!

نوران: نعم. صدقنى. لكننى لم أمت. أصابنى الإغماء فقط.

ضابط٢: وماذا فعلت؟

نوران: غافلـــتهم وهـــم ينقلون الجثث. رحت أعدو وأعدو (نسمع صوت النهجان المميز) لقد مرّ وقت طويل وأنا أعدو.

ضابط١: (ضاحكا) طبعا. ألف سنة (للضابط٢) اطلب الخانكة يا أفندم؟

ضابط٢: ولماذا شنقوك؟

نوران: لأننى أقرأ. أقرأ يا سيدى.

ضابط٢: (مندهشا) فقط!! وماذا تقرأ؟

صوت الجهاز: كمين القلعة. كمين القلعة. حول.

ضابط٢: (مستخدما الجهاز) جاهز يا أفندم. حول.

صوت الجهاز: غرفة العمليات فى انتظارك. حول

ضابط٢: علم يا أفندم.

نوران: (وقـــد ســـمع المحادثة) لا. لن أذهب إليه برجلى. لا. لا (يغافلهم وينطلق هاربا ويصاب الجميع بالارتباك)

ضابط١: امسكوه.

ضابط٢: الكلب. لابد أنه إرهابى. نعم إرهابى.

ضابط١: (خارجا من المسرح) عملها ابن المجنونة. (نسمع طلقات)

ضابط٢: (مواجهـــا الجمهور) الأوامر واضحة. سنقبض عليه حيّا أو ميّتا (يخرج)

(يصفق المخرج والكاتب ويصعدان إلى المسرح)

المخرج: جميل.. جميل جدا.

الكاتب: فعلا. بروفة بديعة (للجمهور) أليس كذلك؟ (يدخل الضابط ٢)

الضابط٢: (بتجاهل خشن) من أنتم؟ (متفحصا) ما شاء الله. يا عسكرى.

المخرج: برافو يا ماجد (مقتربا منه).

الضابط٢: (بحسم زائد) مكانك. ماجد من؟!. من أنتم. (يدخل جنديان) من هؤلاء يا غجر.

الكاتب: كفاية يا ماجد. (ضاحكا)

الضابط٢: قبضتم عليه.

جندى١: لا. هرب يا باشا.

جندى٢: لكنه مصاب. لن يهرب بعيدا.

الضابط٢: هرب يا غجر. نهاركم أسود. فتشوا البكوات. (يهجم الجنديان على المخرج والكاتب ويفتشانهما بقسوة)

المخرج: ماجد. اعقل. خلاص.

الضابط٢: بطاقتك؟

الكاتب: بطاقتى!! (مندهشا)

الضابط٢: (للمخرج) وأنت.

الكاتب: (للمخرج) ما الذى يحدث؟

الضابط٢: كلمنى أنا يا أفندى.

المخرج: ماجد. كفاية. غدا سيبدأ العرض. هايل يا أولاد (يحاول أن يربت على الجنديين فيتصرفان بخشونة وتجاهل)

ضابط ٢: هذا جنون. (للجنديين) ضعوا الكلبشات فى أيديهم.

المخرج: (للكاتب) يبدو أنه اندمج فى الدور. أفق يا ماجد.

الكاتب: ماجد. ماذا بك؟ أنا الكاتب.

الضابط٢: (للجنديين) هيا يا غجر (الجنود يحاولون وضع الكلبشات فى أيديهم. ينجحون مع المخرج بينما يتخلص الكاتب ويكاد يهجم على ماجد محاولا إفاقته)

الضابط٢: ولا حركة. مفهوم (يخرج مسدسه) أى حركة سأضربك بالنار.

الكاتب: (مستمرا وغير مبال) **افهم يا غبى.**

الضابط٢: (يصـــفعه فجـــأة) **ســتندم على ذلك** (يهجم الجنديان على الكاتب ويضعان الكلبشات فى يديه ثم يدفعونهما إلى خارج المسرح ويبدأ الضوء فى الخفوت تدريجيا. نسمع نهجان نوران الذى يتزايد حتى يصـــبح شديد الوطأة مع حلول الظلام. ثم يدخل البصاص يحمل كشـافا يبحـــث بـــه هنا وهناك وبين صفوف المتفرجين بحثا عن نوران)

صوت الجهاز: **ما هى الأخبار. حول.**

البصاص: (فـــى جهازه) **إنه هنا يا باشا. اسمع نهجانه. أريد قوة لمحاصرة المكان. حول.**

صوت الجهاز: **القـــوة فـــى الطـــريق** (نسمع أصوات سارينات وجلبة. ثم نشاهد الضوء المتقطع لعربات النجدة. البصاص فى مقدمة المسرح وباقى الممثليـــن فى تشكيل خلفه. يتجمد المشهد حتى يظن الجمهور أن هـــذه هى النهاية ويبدأ فى التصفيق، عندئذ نرى نوران وهو يتقدم من بين الجمهور باتجاه المسرح وهو ينهج)

البصاص: (صـــارخا) **ها هو. اقبضوا عليه** (يهرب نوران مرة أخرى بين الجمهور – إظلام وجلبة)

إضاءة المسرح

النهاية

الهرم ٢٠٠٠/٨/٣١

(إدارة المطبوعات والنشر ٣٠٤٤/١/٢٠٠٢/١٠٠٠ نسخة)





صدر من هذه السلسلة:

---

1. **انفجار جمجمة** «رواية» .... إدريس على
2. **البشمورى** «رواية روايات» .... سلوى بكر
3. **ظل عائشة** «رواية» .... محمود حنفى
4. **ليلة السهرودى الأخيرة** «مسرحية / غنوصوغرافيا» .... فريد أبو سعدة

هذا الكاتب



فريد أبو سعدة

- شاعر وكاتب مسرحي.
- حاصل على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر ١٩٩٣.
- ولد بالمحلة الكبرى، وحصل على بكالوريوس الفنون التطبيقية ١٩٧٢ ودبلوم الدراسات العليا في الصحافة ١٩٨١.
- يعمل بمؤسسة دار المعارف وتولى إدارة النشر الثقافي بها قبل تفرغه للكتابة.
- عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.
- عضو اتحاد الكتاب المصرى.
- عضو أتيليه القاهرة للكتاب والفنانين.
- مثل مصر في مؤتمرات ومهرجانات الشعر العربية والدولية.
- أصدر ثمانية دواوين شعرية:
  - السفر إلى منابت الأنهار.
  - وردة للطواسين.
  - الغزالة تقفز في النار.
  - وردة القيظ.
  - ذاكرة الوعل.
  - طائر الكحول.
  - معلقة بشص.
  - في صباح جميل كهذا.
- كتب خمس مسرحيات شعرية صدرت في كتابين:
  - حيوانات الليل.
  - عندما ترتفع الهارمونيكا.
- تناول تجربته الشعرية كبار النقاد ودخلت أعماله في رسائل للماجستير والدكتوراه.

كان لابد أن تموت. هكذا زيَّن لي شؤمي. قلت لنفسي ما حاجتي لك إذا ما أصبحت الملك النبيّ. إذا أصبحت سليمان فما حاجتي للعالمين. أخطأت. أخطأت يا شهاب الدين وها أنذا وحيد كبرصٍ في فلاة. إنه يلمع تحت الشمس. ولكنه يمضي إلي موته وحيداً. وماضيه كالظل تحت بطنه. أخطأت. اقتلني يا شهاب الدين. لماذا لا تتكلم. لماذا تزورني دائماً مقتولاً. غيّر هيئتك يا سيدي.

زرني كوليّ. اغفر وسامح. أن يصبح الزمان نوريّاً. أن تزاوج بين القوة والحق. بين الحرية والعدل. حاولت. حاولت ولا زلت. لكني أحتاج إليك. أحتاج إليك.

الظاهر غازي
ملك حلب

